محمد عبد العليم

تاريخ الرُعب العَربي

THE HISTORY OF THE ARABIAN HORROR



تمهيد

ما هو الرعب؟ و هل هو مرادف للخوف؟ و ماذا يعني الرعب في الأدب؟

الرعب هو شدة الخوف و الهلع من شيء ما و هو مرادف للخوف لغويًا و إن كان خوفًا مبالغًا فيه.

و الخوف عمومًا حالة شعورية تحدث للإنسان لأسباب عديدة و لكنّها كلُّها تتمحور حول الخوف من أن يتعرّض صاحبها إلى أذى أيًا كان مصدره سواء كان إنسانًا آخر أو حيوانًا أو حتى الخوف من الأشياء المعنوية كالخوف من المستقبل مثلًا.

أما أدبيًا و بخاصة في الأدب الحديث فهناك توجُّه عام أن الرعب يكون من شيء خارق للطبيعة مذؤوبًا أو مصاص دماء أو شبحًا.. إلخ، و ربما يُضاف إلى ذلك ثيمة القتلة المهووسين و المتسلسلين.

و الأدباء العرب و المصريين بشكل خاص و المتخصصين في كتابة الرعب أو الفانتازيا بشكل أخص يقتبسون كثيرًا من الأفكار والثيمات الغربية في أعمالهم - و هذا بالطبع لا خطأ فيه - و لكن قد لا يعلم الكثير منهم أن التراث العربي يمتلئ حتى حافته بثيمات الرعب المخيفة والتي قد تشكل طفرة نوعية في مجال أدب الرعب والفانتازيا إذا ما أحسن استغلالها

و في الفصول القادمة سوف ألقي بمشيئة الله بعض الضوء على التراث العربي و ما يحتويه من رعب يسيل له لعاب كتّاب الرعب والفانتازيا.

مع العلم أن موضوع هذا الكتاب سيرتكز على القصص العربية القديمة ما قبل الإسلام أو ما عاصره أو ما أشير إليه في الإسلام كأحد أوابد الجاهلية، أو ما حصل في العصور الإسلامية و لكنه يتعلق بشكل وثيق بأحداث ما قبل الإسلام، لذا فسيتم استبعاد كم كبير من التراث العربي المنسوب للعصر الإسلامي حيث أن هذا ليس موضوع الكتاب و يمكن مناقشته في عمل آخر بمشيئة الله .

والله الموفق والمستعان.

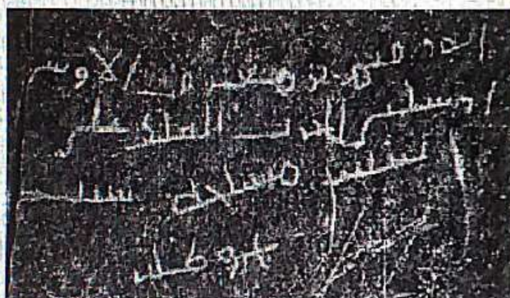
* * *

و لكن بغض النظر عن هذا فالتراث العربي يذخر بالحكايات الخرافية و هو من أكثر ثقافات العالم ثراء بمثل هذه الحكايات.

ولكن يجب أن نعرف بضعة أشياء عن حضارة العرب قبل البدء في التحدث عن تراث الحكايات العربية.

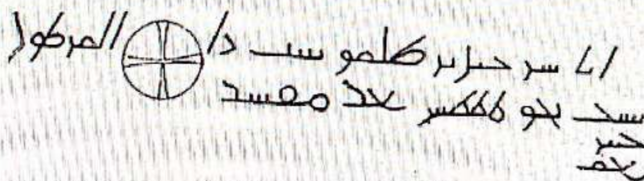
أولًا: أمة العرب وحضارتها كانت أمة سماعية شفاهية و لم تكن الكتابة شائعة فيهم إلا في أضيق الحدود و لم يصل لنا منهم أية وثائق أو مستندات مكتوبة، وكل ما تناقله الرواة عن كتابات العرب قبل الإسلام هي ما قيل في حق معلقات الشعراء التي كانت تدون على الجلد و تعلق على جدار الكعبة تكريمًا لها.

ثانيًا: لم يصل إلينا أية كتابات باللغة العربية مما قبل الإسلام إلا بضعة نقوش هنا أو هناك أشهرها نقش جبل أسيس على بعد 100 كم من دمشق، و يؤرخ هذا النقش بعام 528 ميلادية أي قبل نصف قرن من ميلاد النبي ﷺ.



نقش جبل أسيس

و نقش حران اللجاة في سوريا أيضًا المؤرخ في 568 ميلادية أي قبل ميلاد النبي ﷺ بثلاثة أعوام تقريبًا.



نقش حران اللجاة

وفي هذا يقول الدكتور جواد علي (و أغلب الكتابات الجاهلية التي عثر عليها هي، ويا

للأسف، في أمور شخصية، ولذلك انحصرت فوائدها في نواحٍ معينة، في مثل الدراسات اللغوية، وأقلها النصوص التي تتعرض لحالة العرب الساسية، أو الأحوال الاجتماعية أو العلمية أو الدينية أو النواحي الثقافية و الحضارية الأخرى، و لهذا بقيت معارفنا في هذه النواحي ضحلة غير عميقة. و كل أملنا هو في المستقبل؛ فلعله سيكون سخيًا كريمًا، فيمدنا بفيض من مدونات لها صلة و علاقة بهذه الأبواب، و ينقذنا بذلك من هذا الجهل الفاضح الذي نحن فيه، بتاريخ العرب قبل الإسلام)

و كما نرى فالموارد العربية القديمة أندر من بيضة الديك وإمكانية العثور على حكاية فلكلورية مدونة منذ عصر ما قبل الإسلام هو احتمال أبعد من شيب الغراب.

ثالثًا: جميع التراث الفلكلوري العربي بحكاياته الخرافية وأساطيره نقل سماعيًا شفاهيًا كما هي عادة العرب و لم يتم تدوينه في الكتب إلا في مرحلة لاحقة في العصور الإسلامية وبالأخص في العصر العباسي، فظهرت الكتب التي تتقصى الأدب العربي القديم من شعر و نثر و في بطون هذه الكتب نجد القصص الخرافية ملتحمة مع الشعر والأدب يصعب فصلهما و يستعصي على الباحث تقصيه، و من أشهر هذه الكتب (الاغاني للأصفهاني - مروج الذهب للمسعودي - الحيوان للجاحظ - شروح المعلقات-.... و غيرهم كثير من كتب الأدب العربي مما ستجده في ثبت المراجع بمشيئة الله.

و وفقًا للمقدمات الثلاث السابقة فقد قمت بتتبع كثير من المراجع العربية في محاولة للبحث عن قصص الرعب العربية بشكل خاص والتي اعتبرها مجالًا فريدًا قليل من يبحث فيه و لا أعلم أحدًا اهتم بجمع تراث الرعب والقصص المرعبة في التراث الجاهلي بشكل خاص، لذا فقد عزمت مستعينًا بالله على تقصي هذه الأخبار و جمعها في كتاب ليكون دليلا ومرشدا لمن اراد التعرف على الرعب بمذاق عربي جاهلي.

و أحسب أن هذا الكتاب سيكون إضافة جيدة للمكتبة العربية و مفيدًا لكتاب الرعب والفانتازيا بشكل خاص كونه عامرًا بعشرات الأفكار المرعبة التي تصلح للاقتباس في أعمال أدبية معاصرة، واستلهامًا للثيمات من ثقافتنا و تراثنا دون الحاجة إلى استعارة ثقافات الأمم الأخرى.

و في النهاية أدعو الله أن يضع القبول لهذا الكتاب و أن ينفع به من أراد التعرف على تراثنا العربي و أن يكون ممتعًا للقارئ الذي يبغي متعة القراءة.

محمد عبد العليم

الجـن



الجن لغة من (ج ن ن) و هو مصدر بمعنى التواري والاختفاء و منه (الجنين) لأنه يختفي في بطن أمه و سميت (الجنة) بهذا لاختفائها بسبب تشابك أغصانها فلا يرى من خارجها داخلها، ويقال عن من فقد عقله (مجنون) لأن عقله قد غاب واستتر.

الخلاصة أن الجن هو كل ما اختفى عن الأعين، ولكن العرب خصّت هذا اللفظ لنوع من الكائنات أعتقدت أنها تعيش في الصحاري والقفار والخرائب و أنها تقدر على النفع والضر حتى أن بعضهم عبدها واتخذها آلهة.

والجن عند العرب هو اسم يندرج تحته الكثير والكثير من الأجناس والعشائر والقبائل فمنهم مثلًا (العمار – الغيلان – السعالي – الشياطين – المردة – العفاريت.. إلخ)

و قد كانت لهم الكثير من الحكايات والطرائف مع الجن حفظتها لنا كتب التواريخ والأدب وسوف نستعرض فيما يلي بعض هذه الحكايات.

كانت العرب المستعربة تتناقل حكايات الجن التي توارثوها عن العرب العاربة الذين بدورهم تأثروا فيها بما وصل إليهم من ثقافات الفرس والهند والأجناس الآرية و لهذا نجد الأخوان جريم مثلًا يؤكدان أن (حكايات الجان على رقعة العالم أجمع إنتاج آري كامل).

فكانت العرب العاربة تعتقد أن تزاوجا حدث بين الجن والبشر نتج عنه بشرًا تعود أنسابهم إلى الجن و كانوا يعتقدون أن قبائل العرب البائدة كلها ترجع بنسبها إلى الجن مثل (جرهم و جديس وثمود والعماليق) و رغم أنهم بادوا واندثروا إلا أن مساكنهم مسكونة بالجان و حرموا الاقتراب منها كما هو الحال في الحجر والأحقاف و وادي برهوت و وادي صيهد و يبرين و وادي عبقر... إلخ، و من هنا جاءت فكرة اعتبار القبور والأماكن المهجورة والأماكن الخربة بشكل عام مواطن للجن والعفاريت.

* * *

تحية الجن والاستعاذة بها

و كان المسافر إذا عرض له أحد أودية الجن و أراد أن يمر منه فيرفع صوته بتحية ابتكرها العرب و هي (عموا ظلاما) والتي ترادف معنى (مساكم بالخير)، و كانوا يعتقدون أن مبادرة الجن بالسلام يقي الإنسان شرورها و لذلك نجد في القصص الشعبية مقولة (لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عضامك) وهو الرد الذي يرد به الجني أو الغول على من يلقي عليه السلام و إذا أراد أن يبيت ليلته في الوادي رفع صوته بالاستجارة بعظيم الوادي من الجن ليحميه من شر باقي الجن.

يقول الشاعر:

أتوا ناري فقلت منون انتموا

فقالوا الجن فقلت عموا ظلاما

و يذكر الله تعالى هذا المعتقد العربي و ما كانت تفعله العرب بهذه الأودية فيقول سبحانه (و أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا) (سورة الجن - آية 6).

telegram: @alanbyawardmsr

قال بن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية (كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثما.)

بل كانوا أيضًا يعتقدون أن قبائل معاصرة لهم هم من نسل الجن مثل بنو مالك و بنو الشيصبان عند جبل خنوقة و كذا بنو يربوع بن عمرو الذين لقبوا بأبناء السعلاة كما ستأتي قصتهم فيما بعد.

* * *

حرب الجن

يحكى أن قبيلة من قريش هم بنو سهم (الملقبون بالغياطلة نسبة إلى جدتهم الكبرى الغيطلة و هي واحدة من كبار الكهان في الجاهلية)، حاربوا الجن حتى ضجّت الجن من كثرة قتلاهم حتى سمعت قريش صوت الجن يطلبون التوسط للصلح مع بنو سهم. فما تفصيل هذه الحكاية؟

يحكى أن أحد الجن تمثل في صورة إنسان بشعر أحمر و طاف بالبيت و كان العرب يتطيرون بذوي الشعر الأحمر و يلقبونهم بالزرق فلقيه شاب من بني سهم فقتله.. فثارت الجن و قتلوا من بني سهم خلقًا.. فتنادت بنو سهم و جمعوا أحلافهم و مواليهم و صعدوا أعالي الجبال و لم يتركوا ثعبانًا أو عقربًا أو عظاة أو خنفساء أو أي من الهوام التي يتشكل فيها الجن إلا قتلوه حتى ضجّت الجن من كثرة قتلاهم حتى سمع الناس صوتًا من قبل جبل أبي قبيس يصيح في أهل مكة أن يكفوا عنهم بنو سهم.. فتوسطت قريش للصلح و تعاهد الطرفان على ألا يغدر أيهما بالآخر.

و يحكي رجل من بني سهم بعد الإسلام أن كانت لديه جارية صغيرة صرعت بين يديه فعلم أن هذا بفعل الجن فقال (يا معشر الجن أنني رجل من بني سهم و لقد علمتم ما كان بيننا و بينكم في الجاهلية و ما كان بيننا و بينكم من عهد فإن عدتم في عهدكم عدنا لكم بما تعلمون) فخافت الجن وعيد الرجل و لم تعد الجارية تصرع من يومها قط.

* * *

مهلائيل و حربه مع الجن



وإن كان ابن كثير قدر روى في البداية و النهاية قصة عجيبة عن حرب قديمة حدثت بين بني البشر و الجن و كان ذلك في زمن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم فيقول (و هو الذي يزعم الأعاجم من الفرس، أنه ملك الأقاليم السبعة، و أنه أول من قطع الأشجار، و بنى المدائن، و الحصون الكبار. و أنه هو الذي بنى مدينة بابل، و مدينة السوس الأقصى، و أنه قهر إبليس و جنوده، وشرّدهم عن الأرض إلى أطرافها، و شعاب جبالها، و أنه قتل خلقًا من مردة الجن، و الغيلان، و كان له تاج عظيم، و كان يخطب الناس، و دامت دولته أربعين سنة) انتهى

و يبدو ان الكاتب العظيم تولكين قد اقتبس هذه الملحمة الأسطورية في روايته الشهيرة (سيد الخواتم) فإن نقاط التشابه بين القصتين بين وجلي.

* * *

عزيف الجن

العزيف عند العرب هو صوت الجن و كان العرب يعتقدون أن ما يسمعون من أصوات عند تحرك الرياح حاملة الرمال أو صوت الهوام من حشرات ليلية هو صوت الجن حيث أنهم يسمعون صوتًا و لا يرون صاحبه فعزو ذلك إلى الجن.

يقول عطاء بن أسيد

بين اللها منه إذا ما مدا

مثل عزيف الجن هدت هدا

و قال ذو الرمة

للجن بالليل في حافاتها زجل

كما تناوح يوم الريح عيشوم

و قال أيضًا

ورمل عزيف الجن في عقداته

هرير كتضراب المغنين بالطبل

لذلك في المرة القادمة التي تسمع فيها صوت صفير الرياح في يوم عاصف أو تسمع صوت حشرات الليل في ليلة ظلماء فاعلم أن العرب قديمًا اعتبرت أن هذا صوت الجن فلك أن تتخيل خوفهم منه.

ملحوظة

العزيف اسم كتاب اشتهر بكونه كتاب سحر أسود من تأليف ساحر يمني اسمه عبد الله الحظرد، سوف يأتي بيان القصة كاملة فيما بعد إن شاء الله.

* * *

مراتب الجن و درجاتهم

يذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) قول العرب في الجن و مراتبهم فيقول:

(ثمَّ ينزلون- أي العرب - الجن في مراتب، فإذا ذكروا الْجِنِّيّ سالمًا قالوا: جني، فإذا أرادوا أنّه ممن سكن مع النّاس قالوا: عامر، و الجميع عُمّار، و إنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح، فإن خبُث أحدهم و تعرَّم فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد، قال الله عزّ ذكره: « وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ » فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عفريت، و الجميع عفاريت، قال الله تعالى: « قال عِفْريتٌ مِنَ الْجِنّ أَنَا آتيك بِهِ قبْلَ أنْ تقُومَ منْ مقامِك ».)

وهو هنا تعرض لخمسة أنواع أو مراتب للجني و هي (عامر- روح - شيطان - مارد - عفريت) كما يضاف إليهم أنواع أخرى كما سيأتي مثل (الغول - السعلاة - الشق.. إلخ)

سيأتي بمشيئة الله.

* * *

مراكب الجن و مطاياهم

و المقصود هنا الحيوانات التي يتخذها الجن مطايا و ركائب و أشهرها (الظليم) و هو ذكر النعام و ستأتي قصة ذكر فيها الظليم عند التحدث عن لافظ بن لاحظ، و منها قول شاعر الجن

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة

ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

كذلك الظبي اعتبره العرب من مراكب الجن و يقول (ابن الأعرابي) سألت احد العرب هل الجن تركب الظباء؟ فقال له: أحلف بالله لقد كنت أجد بالظباء التوقيع في الظهور و السمة في آذانها.

أي أنه كان يجد بالظباء علامات كتلك التي يعلم بها البشر حيواناتهم كالأفراس و العير لتميزها عن غيرها لذلك فقد استنتج أن هذه العلامات من صنع الجن.

و كذلك الحشرات و اليربوع و القنفذ و الورل كلها عند العرب من مراكب الجن و مطاياهم و في ذلك يقول الشاعر متحدثًا على لسان الجن:

كلّ المطايا قد ركبنا فلم نجد

ألذَّ و أشهى من رُكوب الجَنادِبِ

و منْ عضرفوط حطّ بي فأقمتهُ

يبادِرُ وِردًا من عظاءٍ قوارِبِ

وشرُّ مطايا الجنُ أرنبُ خلّةٍ

و ذئبُ الغضا أوقٌ على كلِ صاحبِ

و لم أر فيها مِثلَ قُنفُذ بُرقةٍ

يَقُودُ قطارًا منْ عظام العناكبِ

الجنادب نوع من الجراد، والعضرفوط ذكر العظاة

و من الطرائف أن أبو نواس جلس يومًا إلى أعرابي يصفه أنه أقبح الناس شكلًا و أرجحهم عقلًا فقال له مازحًا: أرأيت إذا امتطى الجني القنفذ و علا به في الهواء فهل القنفذ يرفع الجني أم الجني يرفع القنفذ؟

فقال الأعرابي: هذا من أكاذيب الأعراب و لقد قلت فيه شعرًا.

قال أبو نواس فأنشدنيه.

فقال:

فما يُعجبُ الجنّانُ منك عدِمتُهم

وفي الأُسْد أفراسٌ لهم ونجائبُ

أتُسرِجُ يربوعَ وتُلجِم قُنفذًا

لقَدْ أعوزَتهُمْ ما علفتْ المراكِبُ

فإن كانت الجنّانُ جُنّت فبالحَرى

و لا ذَنْبَ للأقدار و الله غالبُ

و ما الناس إلا خادعٌ و مخدَّعٌ

و صاحبُ إسهابٍ و آخر كاذبُ

و معنى هذا الكلام هو الاستعجاب و الاستهجان من معتقد العرب بأن الجن يمتطون القنفذ و الفار الصغير في حين أن أمامهم الأسود و السباع فلو كان الجن يحتاجون إلى ركائب لاتخذوا من الأسد أفراسًا و نجائب بدلًا من القنافذ و الفئران.

* * *

جنون الجن

اعتقد العرب أن الصرع و الجنون هي من تأثير الجن، و وردت قصة الجارية المصروعة سابقًا في الكلام عن بني سهم أما الجنون فقد اشتق من الجن كونه يستر العقل و يخفيه، و اعتقد العرب أن المجنون ممسوس من الجن لذلك يقال: فلان به جنة، أي مجنون. فإن جن جنون الجني كان الجنون على الأنسي مضاعفًا جنون المس و جنون الجني فيصرع ولذلك قال الشاعر:

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب

وشيطانه عند الأهلة يصرع

و قال آخر:

جنونك مجنون ولست بواجد

طبيبا يداوي من جنون جنون

و الشاعر يقصد هنا سبب جنونك هو جنون مسبب الجنون وهو الجني فإن كنا قد وجدنا طبيبًا للإنسان فمن أين سنجد طبيبًا للجني المجنون؟.

* * *

حديث خرافة

كلمة خرافة كلمة متداولة بين الناس عن الشيء الخيالي أو الأمر الذي لا يصدق

ولكن الحقيقة إن خرافة اسم رجل اسمه خرافة من بني عذرة لذا يسمى خرافة العذري، اختطفته الجن فبقي عندهم زمنًا طويلًا ثم عاد إلى عالم البشر فكان يحدث الناس بما رآه في عالم الجن فلا يصدّقوه فصار كلامه مضربًا للأمثال فيقال حديث خرافة أي تخارف لا تصدق.

وخرافة هذا ذكره النبي ﷺ في حديث مشهور أخرجه الترمذي (عن عائشة، قالت: حدَّث النبيُّ ﷺ نساءهُ بحديث، فقالت امرأة منهن: كأنه حديث خُرَافة، فقال: "أتَدْرِينَ مَا خُرَافَةُ؟ إنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلًا مِنْ عُذْرَةَ أسَرَتْهُ الجِنُّ فَمَكَثَ دَهْرًا، ثُمَّ رَجَعَ فَكَانَ يُحَدِّثُ بِمَا رَأى مِنْهُمْ مِنَ الأعَاجِيبِ. فقال النَّاسُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ)

* * *

ذكر من قتلته الجن أو استهوته (اختطفته)

يقول الجاحظ عن ذلك

قتلت مِرداسَ بن أبي عامر أبا عباس بن مرداس و قتلت الغريضَ خنقًا بعد أن غنّى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه و قتلت الجنُّ سعد بن عُبادة بن دُلَيم و سمعوا الهاتف- انظر فصل الهواتف - يقول

قد قتلنا سيد الخزرج

سعد بن عبادة

و رميناه بسهمين

فلم نخط فؤاده

و استهوَوا سِنان بن أبي حارثة ليستفحلوه فمات فيهم و استهووا طالب بن أبيط البقلمي وجد له أثرٌ إلى يومنا هذا.

و استهووا عمرو بن عَدِيٍّ اللَّخمي الملك الذي يقال فيه: شَبَّ عمرو عن الطوق ثمّ ردُّوه على خاله جذيمة الأبرش بعد سنين و سنين و استهووا عمارة ابن الوليد بن المغيرة .انتهى

كما سبق الكلام عن خرافة العذري الوارد في حديث النبي وسيأتي قصة قتل الجن لحرب بن أمية و كذلك قتل الشق لعلقمة بن صفوان.

* * *

الغــول

وغُولاً قفرةٍ ذكرٌ و أنثى

كأنّ عليهمَا قِطعُ البجادِ



الغول في اللغة من غاله غيلة و اغتيالًا وهو الإهلاك غدرًا و الرجل الداهية يقال عنه غول، والخمر غول لأنها تغتال العقل لذلك قال الله تعالى عن خمر الجنة (لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون) أي لا تغتال عقولهم بالسكر، و قيل من التلون والتبدل فيقال تغوّلت المرأة لزوجها أي تجمّلت له و تصنعت وفي ذلك يقول الشاعر:

فما تدوم على حالٍ تكون بها

كما تَلَوّنُ في أثوابِها الغُولُ

و قال عباس بن مرداس:

أصابت العام رِعلًا غولُ قومهم

وَسَطَ البيوتِ و لوْنُ الغُولِ ألوانُ

و الغيلان عند العرب هم سحرة الجن ساكني الفلوات الذين يوقعون بالمسافرين في الفيافي فيهلكونهم و ربما يأكلونهم أيضًا يقول ابن الأثير في النهاية: الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا: أي تتلون تلونًا في صور شتى، و تغولهم أي تضلهم عن الطريق و تهلكهم.

و قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (لا غول) و لقد فسر العلماء هذا الحديث بأن النبي لم يقصد نفي جنس الغول و إنما نفي المعتقد العربي فيه و أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا مع ذكر الله و التوكل عليه, أما الغول نفسه فقد و ردت أثار تثبت وجودها.

و يذكر أن الغيلان ذكرت عند عمر بن الخطاب قال أن أحدًا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها و لكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذنوا.

و هذا الكلام يوافق ما سبق ذكره من أن الغيلان هم سحرة الجن لذلك فهم قادرون على التبدل و التلون في الأشكال كما ورد عن عمر رضي الله عنه .

* * *

ما لا تستطيع الغول تغييره

كان العرب يعتقدون أن رجلي الغول كرجلي العنز – وقد انتشر هذا المعتقد فيما بعد على جميع الجن – فكان أحدهم إذا عرض له الغول في الفيافي يصيح مرتجزًا:

يا رجل عنز انهقي نهيقًا *** لن نترك السبب و الطريقا

و اعتقدوا أيضًا أن الغول مهما تبدّل و تلون في الأشكال إلا أن هناك شيئان لا يستطيع

الغول أن يغيرهما في خلقته و هما رجله فهي كما قلت كرجل العنز و الشيء الآخر العين فهي عندهم مشقوقة بالطول و ليس العرض،أي أن محجر العين بالطول و هذا تفسير و التفسير الآخر أن إنسان العين (النني) طوليًا كعيون الثعابين و القطط، و في هذا يقول الشاعر

و حافر عنز في ساق مدملجة

و جفن عين خلاف الإنس بالطول

* * *

قتلة الغيلان

و تذكر كتب الأدب العربي بعض من لقوا الغول في الصحاري فقاتلوهم و قتلوهم و منهم الشاعر الفحل (أبو الغول الطهوي) صاحب القصيدة الشهيرة من شعر الحماسة و التي مطلعها:

فدت نفسي و ما ملكت يميني

فوارس صدقوا فيهم ظنوني

فيحكى أنه لقي الغول فقتلها فلقب بأبي الغول.

ومنهم أيضًا الشاعر الصعلوك الشهير (تأبط شرًا) و هو ثابت بن جابر الفهمي من بني فهم و إنما لقب بتأبط شرًا لأنه قابل الغول فصارعها و قتلها ثم حملها تحت إبطه وعاد بها لقبيلته فرآه الناس فقالوا أن ثابت قد تأبط شرًا.

ويحكي تأبط شرًا هذا اللقاء العجيب و مصارعته للغول في قصيدة عجيبة يحكي فيها كيف لقيها في مكان يسمى (رحى بطان) و أنها حاولت التلون له و إغوائه و لكنه تنبه لها فحمل عليها بالسيف فضربها ضربة جندلتها و أن الغول و هي تصارع الموت طلبت منه أن يضربها ضربة أخرى (و من هنا جاء الاعتقاد بأن الغول تموت من ضربة واحدة و أن حاولت أن تضربها ثانية تقوم وتصح) و لكن تأبط شرًا لم يقع في هذه الحيلة و تركها تموت وانتظر حتى الصباح ليرى ما هذا الشيء الذي قتله فوجد مسخًا دميمًا هو خليط من أشكال حيوانية و وبر و شعر كثيف.

و إليك قصيدة تأبط شرًا و صراعه مع الغول.

ألا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ

بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ

بِأنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي

بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ

فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أينٍ

أخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني

فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأهوى

لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني

فَأضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت

صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ

فَقالَت عُد فَقُلتُ لَها رُوَيداً

مَكانَكِ إنَّني ثَبتُ الجَنانِ

فَلَم أنفَكَّ مُتَّكِئاً لَدَيها

لِأنظُرَ مُصبِحاً ماذا أتاني

إذا عَينانِ في رَأسٍ قَبيحٍ

كَرَأسِ الهِرِّ مَشقوقِ اللِسانِ

وَساقا مُخدَجٍ وَشَواةُ كَلبٍ

وَثَوبٌ مِن عَباءٍ أو شِنانِ

* * *

صديق الغيلان

ومن العرب من عرف عنه إنسه بالجن و تفضيله لصحبتهم عن صحبة الناس و منهم الشاعر الصعلوك (عبيد بن أيوب العنبري)، وقد كان لصًا و هو من الشعراء الصعاليك و لكنه لم يكن من صعاليك الجاهلية بل من صعاليك العصر الأموي كان مطلوبًا للمحاكمة فخاف وفر هاربًا في البراري و القفار و كان يزعم أنه يصادق كثير من أصناف الجن مثل الغول و السعلاة (السعلاة هي صنف من الجن و هو أنثى تشبه الغول في تلونها) حتى سخر منه الناس و ظنوا به الجنون فقال يرد على لائميه.

و ساخرة مني ولو أن عيونها

رأت ما ألاقيه من الهول جنت

أزل، وسعلاة، وغول بقفرة

إذا الليل وارى الجن فيه ارنت

و كان عبيد بن أيوب خائفًا من البشر أشد الخوف و لم يعد يطيقهم حتى أنه يقول لم أعد أعتقد أن الناس ينظرون إلى أحد غيري و إذا رأى اثنين يتهامسان ظنّ أنهما يتكلمان عنه

لَقد خِفتُ حَتّى خِلتُ أن لَيسَ

ناظِرٌ إِلَى أَحَدٍ غَيري فَكِدتُ أَطيرُ

وَلَيسَ فَمٌ إلا بِسِرِّي مُحَدِّثٌ

وَلَيسَ يَدٌ إلا إِلَيَّ تُشيرُ

ويصف خوفه ان لو رفّت حمامة بالقرب منه لطار فزعًا و ظن أنها صوت قوم يريدون أخذه

لقد خفت حتى لم تمر حمامة

لقلت عدو أو طليعة معشر

لذلك اعتزل الناس و هام في البراري يستأنس بالوحوش و الغيلان و في ذلك يقول في قصيدته المشهورة

فلله در الغول أي رفيقة

لصاحب قفر خائف متنفر

أتت بلحن بعد لحن و أوقدت

حولي نيران تلوح و تزهر

فغريب أمر هذا الخائف الذي لو رفّت بالقرب منه حمامة لطار فزعًا و لكنه يأنس لمخالطة الغول و السعلاة و يفضلها على صحبة بني البشر.!!

* * *

السعلاة



هي مخلوق شيطاني أنثوي اعتقد الكثير من العرب إن السعلاة هي أنثى الغول و البعض الآخر اعتقد بأنها جنس مستقل، و هي مثلها مثل الغول في التلون و التغيير في الأشكال من أجل الظهور للمسافرين في الصحاري و إغوائهم.

و قد تسمي العرب المرأة سعلاة على سبيل المجاز إن كانت المرأة حديدة الطرف و الذهن ممشوقة القوام سريعة الحركة فيقال: امرأة كالسعلاة، و منها قول الأعشى:

ورجال قَتلى بجنبَي أريكٍ

ونساءٍ كأنهنَّ السّعالي

و السعلاة كائن مخيف بحق و هو أحد أجداد مصاصي الدماء و في ذلك يقول المسعودي (و منهن من تظفر بالرجل الخالي في الصحراء أو الخراب فتأخذ بيده فترقصه حتى يتحير و يسقط فتمص دمه !) فنحن أمام مصاص دماء شرقي بجدارة و هي في ذلك تشبه ليليث الأشورية و لاميا الإغريقية.

و بالرغم من ذلك فهي أحيانًا تعشق البشري فتتشكل في شكل امرأة جميلة و تتزوجه و ربما أنجبت منه كما حدث مع عمرو بن يربوع حيث تزوجها فولدت له أولادًا ثم في ليلةٍ رأت برقًا يضرب في أرض السعالي ففزعت (ربَّما ظنَّت أن شرًا أصاب أهلها) ثم قالت لزوجها: استودعتك أولادنا ثم طارت إلى أرضها ولم تعد بعد ذلك مطلقًا، فأطلق على أبناء عمرو بن يربوع (بنو السعلاة)، و في ذلك يقول الشاعر:

يا قاتلَ الله بني السّعلاةِ

عمرو بن يَربوعٍ شِرارَ النّاتِ

و سبق الكلام عن حديث (لا غول) عند مسلم في صحيحه و لكن توجد زيادة في الحديث من رواية أخرى بنص (لا صفر و لا غول و لكن السعالي) ويقول الشُّراح لمعنى الحديث:

السعالي: سحرة الجن، جمع سعلاة، و المعنى أن الغول لا تستطيع أن تغول أحدًا أو تضلُّه، و لكن في الجن سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس و تخييل.

وهو مطابق لكلام عمر رضي الله عنه الذي سبق الإشارة إليه.

* * *

الدلهان

الدلهان أو الولهان هو شيطان عجيب أكل للبشر ذكره المسعودي في أخبار الزمان: و جزيرة الدلهان و هو شيطان في صورة الإنسان راكب على ظهر طائر يشبه النعامة و على قدرها، يأكل لحوم الناس و إذا طرحهم البحر رفعهم إلى موضع لا خلاص لهم منه و أكلهم واحدًا بعد واحد عند إرادته، و يأكلهم أحياءً.

و حكي أن البحر حمل مركبًا إلى تلك الجزيرة و قد كانوا سمعوا به، فلما أتاهم وقفوا على مركبهم و رموه و حاربوه و صبروا على قتاله، فصاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيين على وجوههم، و جعل عبرهم إلى موضع عادته و كان فيهم رجل صالح فدعا الله عليه فهلك من حينه، و صار موضعه ذلك مطلبًا لما معه من أموال الناس و أمتعتهم. انتهى

* * *

الهواتف

نحن قتلنا في ثلاث مسعرا

إذ سفه الجن وسن المنكرا

الهواتف جمع هاتف و هو الصوت الصائح بصوت مرتفع، و منها: هتف زيد بصوت عالٍ.

telegram: @alanbyawardmsr

و لكن العرب إذا أطلقت لفظة الهاتف دون تقييدها بشخص معين فهو يعني عندهم معنى آخر وهو الصياح بكلام مفهوم و لكن لا يرى صاحبه و هو عندهم كلام الجن للبشر بأشياء معينة بغية إخبارهم بحادث وقع أو بطلب ما من الإنس، و لقد سبق في الكلام عن حرب بني سهم أن مكة استيقظت يومًا على صوت هاتف من عند جبل أبي قبيس يطلب من أهل مكة أن يكفوا عنهم بنو سهم !.

و سوف يأتي قريبًا ذكر مقتل حرب بن أمية و هتاف الجن في أهل مكة

و قبر حرب بمكان قفر

و ليس قرب قبر حرب قبر

و من الهواتف ما يسمعه المسافر في الصحراء فيتَّجه ناحيته فإذا سار ظل يسمع الهاتف فيستمر في تتبعه, فربما وجد نفسه على شفا جرفٍ هارٍ فيسقط من علٍ فيهلك أو وجد نفسه مستعرضًا بحزا أو تبتلعه الرمال، و هذا النوع من الهواتف ما انتقل إلى الثقافة المصرية باسم (النداهة)

و قصص الهواتف عند العرب كثيرة جدًا لا يحويها كتاب من كثرتها و منها ما كان في الجاهلية و منها ما كان كإرهاصات لنبوة محمد ﷺ و منها ما كان بعد البعثة بل إن منها ما حدث مع النبي نفسه.

و قد سبق مثال هاتف بني سهم و سيأتي مثال هاتف أمية بن حرب لذا سنأخذ مثالين واحد حصل إرهاصًا لنبوة النبي و الآخر حدث مع النبي نفسه

* * *

المثال الاول:

في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أنه قد عرف بظهور نبي قبل بعثة النبي محمد ﷺ حيث يقول أنه بات في ليلة عند الأصنام فرأى رجلًا جاء بعجل ليذبحه قربة للأصنام فعندما ذبحه صاح صائح من جوف العجل بكلام فخاف الناس و فزعوا و لكن عمر

لمّا عرف عنه من الشجاعة أبا إلا أن يعرف ما يقول الصائح فاقترب و استمع للهاتف فوجده يقول (يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله)

و هذا الموقف مهّد لعمر بن الخطاب حقيقة أن هناك نبي آت ولكنه تشكك في البداية من أن يكون هو محمد ﷺ حتى شرح الله صدره للإسلام في القصة المعروفة.

المثال الثاني:

يحكي ابن عباس رضي الله عنه أن قريش سمعت هاتفًا يصيح من الجبال يحذرهم من اتباع محمد صلى الله عليه و سلم. أنشد يقول:

قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهرِ

مَا أَدَقُّ العُقُولَ وَ الأَحْلامِ

حِينَ تُغْضِي لمنْ يَعِيبُ عَلَيهَا

دِينَ آبائِها الحمَاةِ الكِرَامِ

خالَفَ الجِنّ جِنّ بُصْرَى عَلَيكُمْ

وَ رِجَالِ النَّخِيلِ و الآطَامِ

تُوشِكُ الْخيلُ أنْ تَرَوْهَا نَهارا

تَقتُلُ القَوْمَ فِي حرامِ تِهَامِ

هَلْ كَرِيمٌ مِنكُمْ لَهُ نَفْسُ حُرٍّ

مَاجِدُ الْجَدَّتَينِ و الأَعْمَامِ

ضَارِباً ضَرْبَةً تَكُونُ نَكالًا

وَ رَوَاحًا مِنْ كُرْبَةٍ وَ اغْتِنَامِ

و هو هنا يذكرهم بدين آبائهم الاكارم و يحذرهم من تركه و اتباع دين النبي ﷺ، ثم يحفزهم على أن يقوم منهم رجل بقتل النبي و يحفظ لقريش مكانتها و هيبتها.

يقول ابن عباس فأصبح هذا شعرًا تتناشده مكة كلها فقال رسول الله ﷺ: هَذَا شَيْطَانٌ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْأَوْثَانِ يُقَالُ لَهُ مِسْعَرٌ، وَاللَّهُ مُخْزِيهِ

يقول فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف من فوق الجبل ينشد:

نَحنُ قَتلْنَا فِي ثَلَاثٍ مِسعَرَا

إذْ سَفَّهَ الْجِنُّ وَسَنَّ الْمُنكَرَا

قَنَّعتُهُ سَيفًا حُسَامًا مُشهَرَا

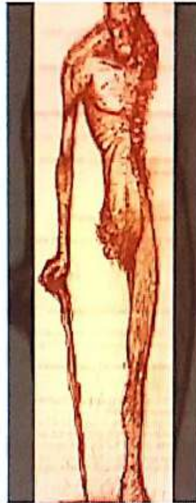
بِشَتمِهِ نَبِيَّنَا الْمُطَهَّرَا

فقال رسول الله ﷺ (هَذَا عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ اسْمُهُ سَمْحٌ آمَنَ بِي سَمَّيْتُهُ عَبْدَ اللَّهِ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ فِي طَلَبِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ " فَقَالَ عَلِيٌّ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ)

وغير ذلك الكثير من المواقف التي حدثت للنبي نفسه مثل حكاية الشيطان الذي دل عليه الكفار ليلة العقبة، وغير ذلك.

* * *

الشق



الشق لغة يعني النصف و منها قول النبي ﷺ (من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة و أحد شقّيه مائل) أي أحد نصفيه مائل.

والشق عند العرب هو ضرب من الشياطين سمي شقًا لأنه على صورة نصف إنسان !

لك أن تتخيل إنسانًا يقف على رجل واحدة و له ذراع واحدة ونصف وجه به عين واحدة !!، فإذا أراد أن يتحرك يحجل قفزًا على رجله الواحدة و كثيرًا ما يوصف بأنه يمسك سيفًا بيده و أنه يعرض للمسافر بالصحاري إن كان وحده فإما يقتله رعبًا بمنظره المرعب و إما يقتله ضربًا بسيفه الذي يحمله إن كان المسافر ثبت الجنان ولم يموت رعبًا.

telegram: @alanbyawardmsr

و قد وردت قصة عن صراع دار بين شق و رجل من سادات الجاهلية اسمه علقمة بن صفوان و هو جد مروان بن الحكم، حيث يحكى أن علقمة بن صفوان خرج ذات ليله و هو يريد ما لا له بمكة راكبًا على حمار و عليه رداء و إزار وليس معه إلا مقرعته حتى انتهى إلى موضع يقال له حائط حزمان فإذ هو بشق على الوصف الذي ذكرته سابقًا حاملًا سيفًا و يقول مرتجزًا:

علقمُ إني مقتول

وإن لحمي مأكول

أضربُهمْ بالهذلول

ضربَ غلامٍ شملول

رحبِ الذراع بهلول

فردَّ عليه علقمة مرتجزًا أيضًا

يا شِقُّها مالي ولك

اغمِدْ عنّي مُنصُلك

تَقتُلُ مَنْ لا يقتلك

و لكن الشق لم يستمع له و أبى إلا القتال فضرب كل منهما صاحبه فخرًا ميتين كلاهما !.

و هذه الحكاية الطريفة تذكر في كتب الأدب و في تواريخ العرب الجاهليين و إن كان نقضها لا يتطلب إلا التفكير في إذا كان علقمة وحده أن الطرفان قد قتلا في هذه المعركة فمن يا ترى نقل لنا هذه الحكاية بأشعارها؟؟

و لكن كما قلت فهي حكايات أسطورية تداولها العرب و كانت تزرع فيهم الرعب من هذا العالم الخفي عالم الجن و الغيلان.

و المسعودي في كتابه (أخبار الزمان) و هو يتكلم عن الأمم التي خلقها الله قبل البشر فيقول (ومنهم أمة يشبهون شق الإنسان لهم عين واحدة و يد واحدة و رجل واحدة يقفزون عليها تقفيزا و كلامهم مثل كلام الغرانيق)

و يبدو أن هذا الذي ذكره المسعودي عن تلك الأمة العجيبة التي سبقت البشر و كأنها أمة من أمم الجن) هي المصدر الأساسي الذي تولدت منه أسطورة الشق.

و يجب على القارئ أن يفرق بين الشق الشيطان الجني الذي تذاكرته العرب، كما في قصة علقمة بن صفوان و بين (شق) الكاهن الأسطوري رفيق (سطيح) و هما كاهنان من كهان الجاهلية تروى عنهم الأساطير و سيأتي ذكرهم حين التعرض لموضوع الكهان إن شاء الله.

كما أن الشق يشبه إلى حد كبير كائنا أسطوريا آخر عرفته العرب إلا و هو (النسناس) كما سيأتي

* * *

النسناس



نحن هنا لا نتحدث عن النسناس ذلك الحيوان المعروف و الذي هو أحد فصائل القرود، بل نتحدث عن النسناس في الأساطير العربية.

والنسناس وفقًا للمعتقدات العربية القديمة هو جنس لمخلوقات تشبه البشر و لكنها ليست بشرًا بل هي هجين بين الإنسان و الجن، فيكون النتاج شق إنسان كما في أسطورة الشق، له يد واحدة و رجل واحدة على اختلاف في موضع الرجل حيث وصفه البعض بأنها في وسط جسمه.

و في الأساطير اليونانية القديمة مخلوقًا كهذا يسمى مونو بود و تعني ذو القدم الواحدة و في الأساطير الصومالية يوجد مخلوق آخر يدعى مونجروف بنفس الشكل و المواصفات و يعتقدون أنه لو لمس الإنسان فإنه يقتله.



صورة من مخطوط قديم تصور أشخاصا برجل واحدة و ذراع واحدة

و قد أورد بعض المؤرخين أن التبع اليماني ذا الأذعار إنما سُمي بذلك لأنه غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة و سبا منهم أقوامًا وجوههم في صدورهم فذعر الناس منهم فسمي ذو الأذعار



شكلًا آخر لأمة النسناس على شكل إنسان بلا رأس و وجهه في صدره

و في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال (ذهب الناس و بقي النسناس، فقيل و ما النسناس، فقال الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس)

و زعم بعض الإخباريين أن النسناس بحضرموت بأرض اليمن و أن الناس يصطادونه و يأكلوه.

و يبدو أن هذه الأخبار من قبيل الأساطير التي لا دليل عليها و التي انتشرت في الثقافة العربية خلال تلك الحقب.

* * *

العباقرة

كان العرب يعتقدون أن وادي عبقر (على خلاف في تحديد مكانه هل هو في نجد أم اليمن) هو مسكن شعراء الجن ونوابغهم و أن كل من نبغ في فن من الفنون و بخاصة الشعر له صاحب في وادي عبقر يوحي إليه بالأفكار الألمعية و الأشعار الفريدة، لذا فقد كانوا يطلقون على من برع في فن من الفنون (عبقري) نسبة إلى وادي عبقر، ثم صارت الكلمة نفسها تستخدم لمن نبغ في أمر ما دون العلاقة القديمة بهذا الوادي.

و تذكر لنا كتب التواريخ العربية أن الشعراء الفحول من أمثال (أمرؤ القيس) (النابغة الذبياني) (الأعشى) و غيرهم كان يعتقد أن لهم قرناء بوادي عبقر يلهمونهم بقصائدهم، حتى أن أسماء هؤلاء الشعراء معروفة مثل:

- لافظ بن لاحظ.. صاحب امرؤ القيس
- هبيد بن الصلادم.. صاحب عبيد بن الأبرص
- مسحل السكران.. صاحب الأعشى
- هاذر بن ماذر.. صاحب النابغة الذبياني
- وغير ذلك الكثير من الأسماء.

ومن الحكايات التي تروى في هذا الباب ما روي أن بعض المسافرين في الصحراء و معهم دليلهم ضلوا طريقهم حتى أشرفوا على وادي عميق فتوقف الدليل و قال لهم: قفوا إنكم أمام وادي عبقر.. يقول فنظرنا فإذا شخص طويل أطول من الناقة يخرج لنا من الوادي يسحب حبلًا مربوط به ظليم (ذكر النعامة) يقول فمرّ قريب منا و نحن متجمدون من الرعب فرأينا ظهره عاريًا و قد تغطى بشيء أخضر مثل الطحالب المتشابكة (حاجة كده زي حراشف التماسيح) فمرّ بهم ثم توقف و التفت إليهم و نظر إليهم نظرة جمدت الدماء في عروقهم و رفع صوته قائلًا: من هو أشعر العرب؟؟

فلم يجبه أحد من الخوف، فقال لهم: إن أشعر العرب من يقول:

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي

بسهميك في أعشار قلب مقتل

و هذا بيت من معلقة امرؤ القيس فقالوا له: هذا امرؤ القيس فمن أنت؟

فقال لهم: أنا لافظ بن لاحظ و لولاي ما قال صاحبكم الشعر.. ثم تركهم و مضى مقهقهًا.

شياطين الشعر

ولي صاحب من بني الشيصبان

فحــينا أقــول وحــينا هــو

سبق في المقال السابق الإشارة إلى العباقرة سكان وادي عبقر الذين اعتقد العرب أنهم نوابغ الجان الذين يوحون لبعض البشر أعظم الأشعار و أحسنها، حتى أن هذا المعتقد ظل قائمًا زمنًا بعد الإسلام حتى يقول الفرزدق في وصف بعض أشعاره:

كأنها الذهب العقيان حبرها

لسان أشعر خلق الله شيطانا

و لقد انقسم العرب في هذا المعتقد على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

أعتقد أن شيطان الشعر أنثى جنية و هي تسكن الشاعر و تصير حليلته وعلى لسان الشاعر تقول شعرها و في ذلك يقول أبو النجم الفضل بن قدامة

أني و كل شاعر من البشر

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

الصنف الثاني

أعتقد أن هناك شيطانان للشعر و ليس شيطانًا واحدًا و من ذلك ما قاله الفرزدق: إن للشعر شيطانين، يدعى أحدهما: الهوبر، و الآخر: الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره و صحَّ كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره و ساء كلامه.

الصنف الثالث

هم من يؤمنون بما تقدم ذكره من شياطين الشعراء المقيمين بوادي عبقر فهم يعتقدون أن لافظ بن لاحظ هو صاحب امرؤ القيس و مسحل ابن أثاثة هو شيطان الأعشى و هبيد بن الصلادم هاجس عبيد بن الأبرص و هاذر بن ماذر هو شيطان النابغة الذبياني.. إلخ.

و هؤلاء هم من سنتناول بعضًا من قصصهم في هذا السياق؟

و القصص في هذا الباب أكثر من أن تحصى و لكن سأكتفي منها بثلاث فقط لعدم الإطالة.

* * *

مسحل و الأعشى

يحكي الأعشى أنه كان في سفر يقصد قيس بن معد كرب (الملك الكندي) يريد مدحه طمعًا في عطاياه، و في طريقه ضلّ طريقه في الصحراء فوجد خيمة يجلس على بابها شيخًا فنزل عليه لكي يسأله عن الطريق فتجاذبا الحوار فسأله الشيخ: هل تقول الشعر؟ فقال الأعشى: نعم.

فسأله الرجل أن ينشده شيئًا من شعره فلبّى الأعشى طليه و ابتدأ قصيدته التي مطلعها:

رحلت سمية غدوة اجمالها

غضبا عليك فما تقول بدالها

فأشار إليه الشيخ بكفّه ليصمت ثم سأله: هل هذا شعرك؟

فأجاب الأعشى: نعم

فقال الشيخ: و من سميه هذه التي ذكرتها؟؟

فقال الأعشى: لا علم لي بها و لكنه اسم ألقي في روعي فقلته.

فصاح الشيخ مناديًا: يا سمية اخرجي.

فخرجت فتاة جميلة من الخيمة فقال لها الشيخ: انشدي لعمك القصيدة التي قلتها و ذكرتك في مطلعها.

قال فراحت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تنس منها حرفًا واحدًا ثم صرفها الشيخ و قال له: هل عندك غيرها؟

فقال الأعشى: نعم

و افتتح قصيدته التي مطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

و هل تطيق وداعًا أيها الرجل

فأشار بكفه ليصمت ثم سأله: و من هريرة هذه؟

فقال الأعشى: لا أعرفها و سبيلها سبيل التي قبلها.

فهز الشيخ رأسه متفهمًا و صاح: يا هريرة اخرجي.

فخرجت فتاة جميلة أخرى تقارب الفتاة الأولى في العمر ثم سألها: أتعرفين القصيدة التي ذكرتك في مطلعها؟

فقالت: نعم

فقال انشديها لعمك.

قال فقالتها حتى أتت على آخرها لم تنس منها حرفًا ثم صرفها الشيخ.

يقول الأعشى فأسقط في يدي و انتابتني رعدة من الرعب، فلما رأى الشيخ ما بي قال: على رسلك يا أبا بصير. أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر.

يقول فهدأت روعي ثم أشار له مسحل على الطريق الصحيحة و ودعه.

فكان الأعشى يذكر مسحلًا و يقول:

و ما كنت ذا خوف ولكن حسبتني

إذا مسحل يسدي لي القول أنطق

شريكان في ما بيننا من هوادة

صفيان إنسي وجني موفق

* * *

كثير عزة و الرجل النحاسي

كثيربن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي واحد من فحول الشعراء و من عاشقي العربي مثله مثل قيس بن الملوح و جميل بن معمر و توبة بن الحمير، و كانت حبيبته التي خلدها بشعره هي عزة بنت جميل الغفارية

و قد ذكر عنه أنه قال: ما قلت الشعر حتى قولته (قولته بضم القاف و تشديد الواو و تسكين اللام و ضم التاء و هو مبني للمجهول بمعنى أن هناك من قوله الشعر).

قيل له و كيف ذلك؟ قال بينما أنا يومًا منتصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جنبي فتأملته فإذا هو من صفر (الصفر هو النحاس أي أن هذا الشخص الذي سار بجانبه كان يبدو كتمثال من نحاس أصفر) وهو يجر نفسه في الأرض جزا، فقال لي: قل الشعر، و ألقاه علي.

قلت: من أنت؟

قال: أنا قرينك من الجن، فقلت الشعر

* * *

حسان و السعلاة

حسان بن ثابت الخزرجي الصحابي الجليل شاعر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

هذه الحكاية لا سند لها و لكنها منتشرة في كتب الأدب العربي و قد حدثت لحسان بن ثابت و هو غلام صغير في الجاهلية و قبل الإسلام بعشرات السنين و هي مروية كالتالي:

لقيته السعلاة في بعض طرقات المدينة – و هو غلام، قبل أن يقول الشعر – فبركت على صدره، و قالت: أنت الذي يرجو قومك أن تكون شاعرهم؟ قال: نعم؟ قالت: فأنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، و إلا قتلتك؟ (روي واحد أي تنتهي بنفس الكلمة)

فقال:

إذا ما ترعرع فينا الغلام

فما إن يقال له: من هو

إذا لم يسد قبل شد الإزار

فذلك فينا الذي لا هو

ولي صاحبٌ من بني الشيصبان

فحينًا أقول وحينًا هو

فخلت السعلاة سبيله.

و الشاهد من القصة البيت الأخير الذي يقول فيه:

ولي صاحبٌ من بني الشيصبان

فحينًا أقول وحينًا هو

بني الشيصبان هم قبيلة من الجن كما ذكرت في المقال الأول فهو يقول أن له صاحب من بني الشيصبان حينًا يقول هو الشعر و حينًا يقوله صاحبه.

* * *

أوابد العرب

يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي

اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

1 - الهامة

إذا بحثت في قواميس اللغة عن معنى كلمة (هامة) ستجد لها عددًا من التعريفات فهي الرأس و جمعها هامات.

و هناك هامة أخرى جمعها هوام، و هي العقارب و الحيات و كل ذوات السموم – و هي التي كان النبي يعوذ منها الحسن و الحسين مثل قوله (أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان و هامة، ومن كل عين لامة)

و هناك هامة أخرى و هي البومة.

و لكن أصل كلمة الهامة عند العرب هي شيء آخر فهي عندهم طائر أسطوري تخرج من رأس القتيل و تقف عند قبره و تزقو (اسقوني دم قاتلي) حتى يؤخذ بثأره و لذلك يسمونها (الصدى) و الصدى هو العطش أي أنها عطشانة للثأر و تظل هكذا حتى يؤخذ بثأر القتيل فتسكت. و في ذلك يقول ذو الإصبع العدواني:

ياعمرو إن لم تدع شتمي و منقصتي

اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

و قد كانت العرب مختلفة على مذهبين في مسألة نفس الإنسان فمنهم من كان يرى أن النفس هي الدم و لهذا أطلقوا على المرأة الحائض (نفساء) و أن الروح هي الهواء الذي يخرج من الإنسان مع التنفس.

و طائفة أخرى زعمت أن الروح طائر ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل و لا يزال متصوزًا في صورة طائر يزقو عند قبر صاحبه مستوحشًا له و في ذلك يقول الشاعر:

سلط الموت و المنون عليهم

فلهم في صدى المقابر هام

و اعتقدوا أن رأس الهامة يشبه صاحبها من البشر لذلك أطلقوا على الرأس (هامة) كأن يقال: ضربه على هامته - أي على رأسه.

و أعتقد أن ذلك تأثير مصري أصيل حيث أن في المعتقد المصري القديم كان أحد مكونات الشخصية هي (البا) و هي الروح و كانت تمثل كطائر يحمل رأسًا آدمية تشبه صاحبها و ترفرف فوق جثمانه.





تصور البا (الروح) عند المصري القديم

و لأنها دومًا تقول اسقوني فقد سميت بالصدى فاشتق من اسمها معنى العطش فيقال (هيمان) أي عطشان و (الهيم) و هو مرض يصيب الإبل فتشرب ولا ترتوي و منها قول الله تعالى (فشاربون شرب الهيم)

وكانوا يعتقدون أن الهام يخرج صغيرًا ثم يكبر حتى يكون بقدر البومة و لذلك أطلقوا على البومة هامة لأنها تسكن الخرائب وتنعق فيها كأنها تنوح على ساكنيها.

و الصدى أيضًا هو ترجيع الصوت و اشتق ذلك من اعتقادهم بصياح الهامة الدائم على قبر القتيل و ترجيعها الصوت بقولها (اسقوني اسقوني).

و منها أيضًا سمي ذكر البوم صدى و منها قول الشاعر:

عطشى يجاوب بومها صوت الصدى

والأصرمان بها المقيم العازب

و كانوا يعتقدون أن الهامة واسطة بين الأموات و الأحياء و أنها تقف عند أبناء القتيل لتنظر ماذا سيفعلون للأخذ بثأر أباهم و تعود للميت لتخبره فيطمئن، و في ذلك يقول طرفة

ابن العبد مفتخرًا بأن خلفه من يأخذ ثأره إن هو قتل، فيقول لعدوه.

كريم يروي نفسه في حياته

ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي

هو يفخر على عدوه بأنه إن قتل فلن تصدى هامته بعكس عدوه الذي ستظل هامته عطشانة لا تجد من يرويها بالثأر و ذلك لعزه و منعته في قومه.

و كان بعض العرب يعتقد أن عظام الميت هي التي تتحول إلى هامة و في معتقدهم أن الهامة تطير و تعود إلى قبر صاحبها كل مائة عام و تزقوا مستوحشة له و في ذلك يقول لبيد:

فليس الناس بعدك في نفير

و لا هم غير أصداء و هام

و عندما أتى الإسلام أبطل هذا المعتقد تمامًا و أبطل أقوال الجاهلية فيه و في ذلك يقول رسول الله ﷺ (لا عدوى و لا طيرة و لا هامة)

و إن كان ذلك التراث ظلّ مستمرًا بعض الوقت في أشعار العصور التالية و من أمثلة ذلك تلك القصة الطريفة التي حدثت بالفعل و هي لاثنين من مشاهير العشاق عند العرب من أمثال قيس و ليلى و كثير و عزة فبطلا هذه القصة هما توبة بن الحمير و ليلى الأخيلية.

كان توبة بن الحمير يحب ابنة عمه ليلى الأخيلية و يذكرها في شعره فخطبها إلى والدها فأبى أن يزوجه لها لأنه يذكرها في شعره – و هو نفس السبب الذي رفض من أجله والد ليلى العامرية أن يزوجها من قيس ابن الملوح !-

ثم بعد ذلك زوجها من رجل آخر، و فرّ توبة و صار من الصعاليك يغزو معهم القوافل حتى قتل و دفن، ثم مات زوج ليلى و تزوجت من بعده زوجًا آخر و كانت معه في سفر فمرّت على مضارب بني عقيل أهل توبة و أوشكت على قبره فأرادت أن تسلم عليه في قبره و لكن زوجها غضب و رفض و لكنها أصرت و أقسمت فرضي على مضض فأقبلت بناقتها و هي على هودجها إلى القبر و قالت: السلام عليك يا توبة.

ثم التفتت إلى بني عقيل و قالت: والله ما عرفت له كذبة إلا هذه!

فتعجبوا من قولها و سألوها أي كذبة تقصدين فقالت: أليس هو القائل:

و لو أن ليلى الأخيلية سلمت

علي و دوني جندل و صفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا

إليها صدى من جانب القبر صائح

ثم قالت: و ها قد سلمت عليه فأين المجيب؟

و صدف أن كان بجانب القبر بومة فأفزعها وجود الناقة فزقت بصوت عال و طارت في وجه الناقة فجفلت و أسقطت ليلى من هودجها فسقطت على رأسها و ماتت !



2-العنقاء

و لولا سليمان الخليفة لحلقت

به من عتاق الطير عنقاء مغرب



العنقاء طائر أسطوري عرف في كثير من الثقافات القديمة فقد عرفته الحضارة الفينيقية و منها جاء اسمه (طائر الفينيق) و في اللغات الأجنبية (الفينيكس) كما ورد ذكره في الحضارة اليونانية و الفارسية و الهندية و المصرية.

و سبب تسميتها بالعنقاء فيه خلاف بين القواميس فمنهم من يرى أن السبب وجود بياض بعنقها و منهم من يرى أن السبب هو استطالة عنقها و لا خلاف بين الرأيين فلربما كان عنقها طويلًا و فيه بياض.

و يزعم العرب أن العنقاء طائر ضخم عظيم الخلقة حتى أنه قادر على خطف الحيوانات كالغنم و الإبل بمخالبه و يطير بهم إلى عشه فوق قمة جبل عظيم.

و عندهم أن العنقاء دومًا تطير ناحية الغرب فلو خطفت حيوانًا أو إنسانًا طارت به مغربة، لذا صارت مضربًا للأمثال تضرب في الهلاك و التلف فيقال (حلقت به عنقاء مغرب)، أي تلف و هلك.

telegram: @alanbyawardmsr

و في ذلك يقول شاعرهم:

و لولا سليمان الخليفة لحلقت

به من عتاق الطير عنقاء مغرب

و الفرس هم أكثر الشعوب اعتقادًا في العنقاء حتى أن الجاحظ حين تكلم عنها ذكر أن الكثيرين يكذبون بوجودها و لكن الفرس يثبتونها و يكثرون تصويرها في البسط الملكية و

أنها تسمى بالفارسية (سيمرك) أو (سيمرج) و هي تعني بالفارسية ثلاثين أي أنها تعدل ثلاثين طائرًا عظيمًا.

و في الأساطير المصرية أن العنقاء تعمر زهاء ألف سنة ثم تأتي إلى معبد الإله رع في مدينة أون (عين شمس) ثم تقف و تخفق بجناحيها بسرعة شديدة فتشتعل أجنحتها نارًا فتتحول العنقاء إلى رماد ثم ما يلبث أن تخرج العنقاء و تبعث من رمادها مرة أخرى ثم تحلق طائرة و تعيش زهاء ألف سنة أخرى.



العنقاء تحترق

و يحكى أن العنقاء سكنت جبلًا عاليًا في أرض العرب و كانت تنقض على الطيور فتأكلها و في يوم جاعت فأعوزتها الطيور فلم تجد ما تصطاده فاختطفت صبيًا و طارت به مغربة و في مرة أخرى اختطفت فتاة وحملتها بجناحين آخرين غير جناحيها الكبيرين وطارت بها أيضًا فلما عمّ الفزع و الذعر بسبب ذلك الطائر الكاسر و لم يعد الناس يأمنون على أنفسهم و لا أولادهم شكوا لنبي لهم هذا البلاء فدعى هذا النبي على العنقاء أن يهلكها الله و أن يقطع نسلها، فضربتها صاعقة فهلكت و لم تعقب نسلًا فانقرضت وارتاح البشر منها.

telegram: @alanbyawardmsr

و قد اختلف في اسم هذا النبي الذي دعا على العنقاء بالهلاك فبعض الروايات تقول (أنه حنظلة بن صفوان) و هو من يعتقد أنه نبي أهل الرث أو البئر المعطلة التي ذكرت في القرآن، في حين تتحدث بعض الروايات الآخرى أنه (خالد بن سنان العبسي) - مطفئ نار الحدثين - ذلك الشخص الذي يجب أن تشمله أحد الدراسات الجادة بالتتبع و الاهتمام فلقد كان ما ذكر عنه ضروبًا من الخيال و الفانتازيا و قصته في إخماد نار البركان العظيم قصة تستحق الاهتمام و الدراسة.

و مما يجدر الإشارة إليه أن بعض العلماء كالقزويني قد أفرد للعنقاء بابًا في كتابه عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات يصف فيها العنقاء و يصدرها بصورة متخيلة لها



العنقاء في كتاب القزويني

و لقد اعتبر العديد من العرب أن العنقاء ما هي إلا خرافة و مستحيل من المستحيلات الثلاثة التي جمعها الشاعر في قوله

لمَّا رَأيتُ بَنِي الزَّمَانِ وَمَا بِهِمْ

خِلٌّ وَفِيٌّ لِلشدَائِدِ اصطَفِي

أيقَنتُ أنَّ المُستَحِيلَ ثَلاثَةٌ

الغُولُ وَالعَنقَاءُ والخِل الوَفِي

3 - التنين



ربما لم تجمع أساطير الشعوب في العالم أجمع على شيء إجماعها على أسطورة التنين فتقريبا لا تخلو ثقافة شعب من الشعوب القديمة عن وجود لهذا الكائن العجيب مع اختلافات طفيفة في الصفات الشكلية و القدرات الخاصة، فستجد ذكر التنين في الأساطير الإغريقية و الرومانية و الأوروبية في العصور المسيحية و في حضارات آسيا مثل الصين و اليابان و الهند



التنين الصيني

وحتى في الحضارة المصرية القديمة فيوجد (عبب) الثعبان الأسطوري القادر على ابتلاع الشمس.



الثعبان (أبوفيس) (عبيب) يحاول التهام قارب الشمس

و كذلك في الثقافة الأوروبية المسيحية نجد أساطير التنين رائجة جدًا خاصة بسبب ذكره في سفر الرؤيا بالكتاب المقدس، و قد صوَّر القديس جرجيريوس و هو يحارب التنين و يقتله و العجيب أن نرى التشابه في الصراع و القتال في الثقافات الأوروبية و الثقافة المصرية على سبيل المثال.



اليمين القديس مارجرجس يقتل التنين - اليسار حورس يصرع الثعبان أبوفيس

و لم تشذ الثقافة العربية القديمة عن هذا الإجماع الأممي و ظهر لنا التنين في أساطيرها و قصص رحالتها و إن كان التنين عند العرب وصف لثعبان مهول الحجم يستطيع أن يبتلع جملًا كاملًا إن أراد ذلك ستجد أن التنين عند العرب هو ضرب من الحيات العملاقة و يزيد ابن منظور في لسان العرب أن التنين حية بحرية و أن دواب البحر تشكو منها فيستجيب الله لها فيرسل سحابة تحمله و تطير به في السماء، و هو معتقد قديم عند العرب.(و هو هنا يفسر الاعتقاد في أن التنانين تطير). و يذكر رواية عن أحد الذين نزلوا بسيف البحر بأرض الشام - سيف البحر أي لسان من اليابسة بدخل البحر - أنه رأى هو وجمهرة أخرى من الناس سحابة ترتفع من الماء و أنهم رأوا يخرج من آخرها ذنب عملاق. يضطرب فعرفوا أنه التنين تحمله سحابة ضخمة. و يروي الجاحظ في كتابه الحيوان أن أحد الكتاب قام بالرد على حقيقة وجود التنين و فسر ادعاءات أهالي الشام المحازيين للبحر برؤيتهم للتنانين فقال أن الأمر لا يعدو أن يكون إعصارًا فيه نارًا تدمر و تحرق المدن و القرى و أن الخيال الشعبي قد تكفل بتحويل الأمر إلى كائن أسطوري.

و بغض النظر عن هذا التفسير إلا أننا في طياته يمكن أن نستنتج ما كانوا يعتقدونه في صفات التنين و هو كالتالي:

- كائن عملاق طائر يأتي من قبل البحر
- يقذف النار و يثير العواصف
- يهدم و يدمر المدن
- بإمكانه أن يطير
- له جسد مغطى بالحراشف كالزواحف

والجاحظ في كتابه الحيوان يميل إلى إثبات وجوده على الحقيقة فيقول:

(و لم يزل أهل البقاع يتدافعون أمر التنين و من العجب أنك تكون في مجلس و فيه عشرون رجلًا فيجري ذكر التنين فينكره بعضهم و أصحاب التثبت يدعون العيان - أي أن أهل التثبت يدعون أنهم رأوه عيانًا - و الموضع قريب و من يعاينه كثير).بل أننا نجده يقدم شهادته الخاصة في هذا الموضوع بسرده تلك القصة العجيبة فيقول إنه في زيارته لمسجد أنطاكية ببلاد الشام لاحظ أن الثلث العلوي من منارة المسجد أحدث من الثلثين الأسفلين بكثير و ظاهر جدًا إعادة تجديده فسألهم عن هذا فقالوا له أن تنينًا ضخمًا خرج عليهم من

البحر طائرًا فما مر على شيء إلا أهلكه فمرّ على المدينة و هو في الهواء فاصطدم ذَنَبه بأعلى المنارة فهدمها.

فهل كان التنين كائنا حقيقيا؟؟ أم أنه مجرد خرافة تناقلتها الشعوب؟؟

و ما سر تواجد نفس المخلوق في جميع ثقافات هذه الشعوب؟؟

ستظل هذه الأسئلة ألغازًا معلقة حتى يأتي يوما نستطيع فيه أن نقطع بحقيقة الأمر.

* * *

4 - الرخ



هو طائر أسطوري آخر هائل الحجم يشبه العقبان و لكنه أضخم بكثير و قادر على حمل الفيل و وحيد القرن، و قد ذكره الرحالة الأوروبي ماركو بولو في معرض حديثه عن جزيرة مدغشقر، هذا وقد عثر في جزيرة مدغشقر على بيضة بطول ثلاثين سم.

و داود الأنطاكي صاحب التذكرة يذكر الرخ فيقول: الرخ طائر منه ما يقارب حجم الجمل و أرفع منه و عنقه طويل شديد البياض مطوق بصفرة و في بطنه و رجليه خطوط غبر و ليس في الطيور أعظم منه جثة، و هو هندي يأوي جبال سرنديب.

و قد ذكر الرخ في ألف ليلة وليلة في قصة السندباد، و ذكره الدمشقي في تحفة الدهر، و أعجب ما ذكر عن الرخ ما ذكره الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة فقال:

و لما كان اليوم الثالث و الأربعون ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا و بينه عشرين ميلا و الريح تحملنا إلى صوبه فعجب البحارة و قالوا: لسنا بقرب البر و لا نعرف أن ها هنا جبل في البحر !

يقول ابن بطوطة: ثم رأينا هذا الجبل عند طلوع الشمس و قد ارتفع في الهواء !

telegram: @alanbyawardmsr

و ظهر الضوء فيما بينه و بين البحر، إن الذي تخيلناه جبلًا هو الرخ و إن رآنا لأهلكنا !!

هذه القصة العجيبة التي يقصها ابن بطوطة تشير إلى أن الرخ ليس أسطورة بل هو حقيقة رآها بعينه !

فهل كان ابن بطوطة صادقًا فيما يقول؟ أو لعله توهم ذلك !.

و لكن توتر ذكر الرخ في كثير من الأساطير الإفريقية و الشرقية و الغربية يضعه قد يلقي بظلال من الحقيقة على وجوده.

و الأستاذ ياسر مصطفى الطبال في كتابه (أساطير عالمية مخيفة) يذكر أن هناك مزاعم أن طائر الرخ الكبير انقرض في القرن السابع عشر و كان من فصيلة العقبان الكبيرة.

* * *

و قبر حرب بمكان قفر

و ليس قرب قبر حرب قبر

5 - الحيات و الأفاعي



بالطبع فالحيات و الافاعي في حد ذاتها كائنات معروفة مشاهدة و ليس فيها ما يستدعي الكلام عنها في معرض الحديث عن تراث الرعب العربي، غير أن الحيات و الأفاعي كان لها دور كبير جدًا في هذا التراث الذي اعتبر أن الجان يتشكلون في صورة الأفاعي و الحيات و لقد ذكرنا في المقال الأول قصة حرب الجن التي شنّها بنو سهم (الغياطلة) عندما جمعوا مواليهم و أحلافهم و صعدوا الجبال فما تركوا حية أو عقربًا أو عظاة أو شيئًا من الهوام التي يتشكل فيها الجن إلا قتلوه، و هذا دليل على اعتقادهم بأن الافاعي و الحيات هي الصورة الأقرب التي يتخذها الجن عند تشكلهم في صورة مرئية، و الحكايات التي تذكر في هذا الباب تستعصي على الحصر و لكني سأكتفي منها بأربع قصص شيقة و أظن أنها تكفي لإيصال المعنى المطلوب.

* * *

القصة الأولى: الحيات البيضاء (يالثارات الجن)



حدثت هذه القصة لاثنين من سادات العرب في الجاهلية الأول (حرب بن أمية) و هو والد أبو سفيان وجد معاوية رضي الله عنهما و الآخر (مرداس بن أبي عامر السلمي) سيد بني سليم و والد الصحابي الجليل عباس بن مرداس و مرداس هذا زوج تماضر بنت عمرو و هي المشهور بـ (الخنساء)

القصة حدثت بعد حرب الفجار و هي حرب في الجاهلية يمكن أن نتحدث عنها فيما بعد، بعد الحرب خرج حرب بن أمية إلى بني سليم فلقي مرداس ابن أبي عامر و كانا أصدقاء فرأى حرب واديًا مليئًا بالشجر، فتعجب من حسنه و حسن تربته فقال لمرداس (نعم المزدرع هذا الوادي).. أي أن تربته طيبة تصلح للزراعة و لكن الشجر سيعوق الزراعة فقال مرداس أنا شريكك فيه، و أشار بحرق أشجار الوادي رغم علمه بأن هذا الوادي معروف بأنه وادي الجن.

و لكن مرداس و حرب لم يأبها لهذا فأخذ مرداس شعلة نار و نزل للوادي و خلفه حرب و راح يحرق الشجر و هو ينشد قائلًا:

إني انتخبت لها حربًا و إخوته

إني بحبل وثيق العقد دساس

إني أقوم قبل الأمر حجته

كي ما يقال ولي الأمر مرداس

فلما أحرق الشجر سمعا صراخًا رهيبًا يخرج من الوادي و كأنها أصوات تعذب و خرجت من النار حيات بيضاء تطير في الهواء.

و هنا لبست الجن لباس الحرب وتنادت يالثارات الجن وتعاهدوا على الثأر من مرداس و حرب فسمعوا هاتفًا من الوادي يصيح مرتجزًا:

ويلٌ لحربٍ فارسا

مطاعنا مخالسا

ويل لعمرو فارسا

إذ لبسوا القوانسا

لنقتلن بقتله

جحاجحا عنابسا

أما مرداس بن أبي عامر فتكاثرت عليه الجن و قتلوه خنقًا في مكانه، و لكن حرب نجا ذلك اليوم و خرج في تجارة ذات مرة فلقيه الجن في الصحراء و قتلوه و لهذا قصة طويلة أخرى حدثت له مع أمية بن أبي الصلت – و الغريب أن هذه القصة أيضًا تتضمن قتلهم لأفعى أخرى و انتقام الجن من حرب لهذا السبب - و لم يعلم أحد من قريش ماذا حدث لحرب بن أميه و في ذات صباح سمعوا هاتفًا يصيح:

و قبر حرب بمكان قفر

و ليس قرب قبر حرب قبر

فعلمت قريش أن حرب قد مات و أن قائل هذا البيت هم الجن يعلموهم بأنهم أخذوا بثأرهم – و قد سبق ذكر هذا البيت عند الكلام عن الهواتف – و كان العرب يعتقدون أن قائل هذا البيت لا يمكن أن يكون من البشر لأن لا أحد من العرب مهما كانت بلاغته يستطيع أن يقول هذا البيت ثلاث مرات متتاليات دون أن يتتعتع .

ملحوظة: يذكر بعض الدارسين للتراث العربي أن وفاة مرداس بن أبي عامر ربما تكون اختناقًا بسبب الدخان المنبعث من حرق الأشجار و لكن العقلية العربية فسّرت الامر أنه انتقام من الجن، و هذا بالطبع تفسير له وجاهته و لا شك.

* * *

القصة الثانية: أول من قال باسمك اللهم

ذكر السهيلي في كتابه " التعريف و الإعلام " أن أمية بن أبي الصلت أول من قال: باسمك اللهم. و ذكر عند ذلك قصة غريبة جدا كان هو بطلها و بصحبة حرب بن أمية الذي سبقت قصته مع مرداس ابن أبي عامر و تفصيل هذه القصة كالتالي:

يقول أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان . قال: فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها – ولم يعلموا أنها من الجن - فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان ومعها قضيب من حديد و راحت تقترب من قافلتهم حتى توسطتها فضربت بهذا القضيب الأرض ضربة فاهتزت الأرض و ارتجفت و نفرت الإبل عن آخرها فذهبت و شردت كل مذهب ، و قاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضًا فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا في طلبها فلما أعياهم ذلك قالوا: والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج؟ فقال: لا والله ، ولكن سأنظر في ذلك. قال: فسار في تلك المحلة لعلّه يجد أحدا يسأله عمّا قد حلّ بهم من العناء ، إذا نار تلوح على بعد فجاءها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا ، و إذا هو من الجان في غاية الضآلة و الدمامة فسلّم عليه فسألهم عمّا هم فيه فقال لهم أن هذه المرأة زوجة الجني الذي قتلوه و أنها تطلب بثأرها ثم قال لهم: إذا جاءتكم فقل: باسمك اللهم فإنها تهرب. فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة والرابعة ، قال في وجهها أمية : باسمك اللهم يقول: فصرخت المرأة بصوت عال و هي تقول: ويحكم من علّمكم هذا ثم راحت تدور حول نفسها كالزوبعة حتى ذابت و لم يبق لها أثر، و لهذا كان أميه بن أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم. ثم أكملت القافلة طريقها و لكن حرب بن أمية تأخر قليلًا فاجتمعت عليه الجن فقتلوه بهذا الجني و بقتلى الوادي المحترق في قصة الحيات البيض.

القصة الثالثة: عبيد بن الأبرص و الشجاع



يحكي عبيد بن الأبرص الشاعر المعروف أنه كان في قافلة متجهًا لحج بيت الله الحرام فلما توسطت القافلة البادية سمع ضجة عظيمة ألحقت أول القافلة بآخرها و توقَّف الركب فنزل عبيد و اتجه إلى مقدمة القافلة ليعلم سر هذه الضجّة, فإذا بشجاع أسود عظيم (ثعبان أسود عظيم الخلقة) فاغرًا فاه كالجزع يصدر صوت خوار عظيم كخوار الثور و قد اعترض القافلة، يقول: فهالني أمره و فزع منه الناس في القافلة ثم أنهم أرادوا أن يتحولوا عن طريقه إلى اتجاه آخر و لكنه تحول أيض، و اعترض القافلة مرة أخرى ولم يجسر أحد من الرجال أن يقترب منه لعظمة و فظاعة منظره !، يقول عبيد فقلت في نفسي: أنا أفدي هؤلاء الناس بنفسي و أتقرب إلى الله بخلاص هذه القافلة.

telegram: @alanbyawardmsr

ثم حمل قربة ماء على عاتقه و أمسك السيف بيمينه و تقدم من الشجاع، فلما رآه الشجاع سكن و لم يتحرك فتوقع عبيد أنه يستعد ليثب عليه و لكنه حين رأى القربة فتح فاه فجعل فم القربة في فيه و أخذ يصبُّ فيه الماء حتى نفذت القربة و ارتوى الشجاع فذهب الشجاع مبتعدًا وسط الرمال، فحمد الناس الله على النجاة و نجت القافلة و ذهبوا للحج، و في طريق عودتهم وقفوا ليلة ليستريحوا فتنحى عبيد عن القافلة لقضاء حاجته ثم أن عينه غلبته فنام و لما استيقظ و عاد للقافلة وجدها قد رحلت مخلفة إياه، و لم يكن معه إلا بكر (جمل صغير) و لا يعرف الطريق الذي ذهبت فيه القافلة فأيقن بالهلاك وسط هذه الفلاة القاحلة.

فإذا هو بهاتف يسمعه و لا يرى أحدًا (راجع مقالة الهواتف):

يا أيها الشخص المضل مركبه

ما عنده من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه

وبكرك الميمون حقا تجنبه

حتى إذا ما الليل زال غيهبه

عند الصباح في الفلا تسيبه

أي أن الهاتف قال له أنه سيمده ببكر آخر (جمل صغير آخر) وعليه أن يركبه و يسحب بكره هو و لا يركبه و عند انبلاج الصباح يترك البكر في الفلاة ليذهب.

و ما هي إلا لحظة حتى وجدا بكرا يقف جوار بكره ففعل مثلما قال له الهاتف و ركب البكر و سحب بكره فسار به البكر طوال الليل و عند انبلاج الفجر وجد أنه قد لحق بقافلته و توقف البكر فعلم أنه ها هنا يجب أن يسيبه ففعل و عندما استدار البكر ليرحل قال عبيد.

يا أيها البكر قد انجيت من كرب

و من هموم تضل المدلج الهادي

ألا فخبــرني بالله خــالقنا

من ذا الذي جاد بالمعرف في الوادي؟

فإذا بالبكر يلتفت إليه و ينشده بلسان فصيح:

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا

والله يكشف ضر الحائر الصادي

فجدت بالماء لما ضن حامله

نصف النهار عن الرمضاء في الوادي

الخير ابقى و إن طال الزمان به

و الشر أخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك منا لا نمن به

لك الجميل علينا أنك البادي

ثم صار هذا البيت من أشهر الأبيات في الأدب العربي و أصبح مضرب الأمثال في فعل الخير و رد المعروف:

الخير أبقى و إن طال الزمان به

و الشر أخبث ما أوعيت من زاد

* * *

القصة الرابعة: الحية ذات الرأسين

نجد في ثقافات متعددة أسطورة الأفعوان الرهيب ذو الرؤوس المتعددة، فنجد في الأساطير اليونانية (الهيدرا) ذلك الأفعوان الذي كلما قطعت له رأسًا نبت له رأسين، و الذي قتله هرقل.

أما الأساطير الفارسية فلديها أفعوانها الخاص و الذي يطلقون عليه (الاجدهاني) و الذي تحدث عنه الجاحظ في الحيوان فقال: و تزعم الفرس أن الأجدهاني أعظم من البعير و له سبعة رؤوس و ربما لقت الجماعة من الناس فتبتلعهم من كل اتجاه برؤوسها المتعددة، و ربما زعموا أيضًا أن رؤوسها على شكل رأس الانسان.

ثم يعلق الجاحظ على هذه الأسطورة بقوله: و هو من أحاديث الباعة و العجائز.

أما عند العرب فلديهم أفعوانا ذو رأسين اثنين يسمونه (الزمردة) و قد ورد ذكرها في قصة الملك الحميري (أبرهة ذو مرائد) الملقب بأبرهة ذو المنار و هو غير أبرهة الحبشي المعروف في قصة الفيل، و تذكر القصة الآتي:

(كان أبرهة أبيض وسيمًا جميلًا، فلما دفن أبرهة أباه ذا القرنين الصعب بن ذي مرائد بالحنو حنوقراقر في رمل العراق و رجع بعساكره، ظهرت لهم الزمردة بعد موت ذي القرنين و هي صنف من الحيات تسكن الرمل قصيرة لها رأسان في طرفيها و ما أكلت بهذا الرأس ألقته برأسها الآخر وهي لا تظهر إلا في النهار و تعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض لا يستطيعها يسري سمها في الأبدان كسير البرق في الهواء تفر منها الثعابين و الشجعان و الأفاعي، فلما كثرت على عساكره الزمردة ذات الرأسين أضرت بعساكره ضرًا شديدًا، فكان يعرس نهارًا و يسير ليلًا فكانت تضل العساكر في الليل بعضها عن بعض فأمرهم أن يوقدوا النيران على رؤوس الجبال ليهتدوا بها. وهو أول منار جعل في الدنيا)، و بسبب هذه القصة تلقب أبرهة ذو مرائد بأبرهة ذو المنار.

و في الحيوان يذكر الجاحظ الحية ذات الرأسين بصيغة المكذب لها فيقول:

(سألت أعرابيًا عن ذلك – أي الحية ذات الرأسين – فزعم أن ذلك حق فقلت له فمن أي جهة تأكل و تعض و من أيها تسعى فقال أما السعي فإنها لا تسعى و لكنها تتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمال و أما الأكل فإنها تتعشى بفم و تتغدى بفم و تعض برأسيها معًا.)

و يبدو أن الجاحظ لم يستطيع كتم غيظه من الأعرابي فقال معلقًا على حكايته:

فإذا به أكذب البرية و هذه الأحاديث كلها مما يزيد من الرعب منها و تهويل أمرها !

و لكن في عصر العلم الحديث اكتشفنا أن الحية ذات الرأسين ليست أسطورة خالصة و ربما كان لها جانب من الحقيقة ! فهناك حالات كثيرة لثعابين و حيات تخرج من بيضتها برأسين و هي حالة نادرة الحدوث و هي تشبه التوأم الملتصق في البشر و كل رأس لها استقلاليتها فربما يتشاجران أو يحاولان ابتلاع بعضهما البعض و لهذا لا تعمر الأفعى ذات الرأسين إلا بضعة أشهر فكما قلت لكل رأس تفكيرها الخاص بها و هذا يؤدي في النهاية لهلاكها



* * *

6 - الرئيمة

رغم أن الرئيمة ليست من تراث الرعب العربي بل هي تتعلق بالتراث الديني و المعتقدات الغيبية بالعالم الآخر إلا أني ارتأيت وضعها مع أوابد العرب لما لها من أهمية في توضيح عقائد الجاهلية.

الرئيمة أو البلية – جمع بلايا - كان بعض العرب إذا مات فيهم شخص و دفنوه عقلوا ناقة بجوار قبره و سدوا عينيها و تترك دون ماء أو طعام حتى تهلك و تتحلل لأنهم كانوا يعتقدون أنه إذا بعث من قبره وجدها فيركبها.

و هو معتقد غريب حيث أنه يدل على إيمان بعض العرب بالبعث و النشور و هو خلاف ما يعرفه العامة عن معتقدات الجاهلية حيث أن بعضهم كان يقول (أن هي حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين).

و لكن نظرًا لبقاء بعض من الديانة الحنيفية و انتشار اليهود في الحجاز و النصارى في نجران جعل من بعض العرب يعتقدون في البعث و النشور و إن ظلوا على وثنيتهم.

و بهذا أكون قد انتهيت من ذكر أهم أوابد العرب المتعلقة بتراث الرعب.

* * *

علم الغيب



منذ وجود الإنسان على وجه الأرض و هناك أسئلة كثيرة تلح عليه لربما كان أكثرها شغفًا بالنسبة له هو معرفة الغيب و ما سيقع في قابل الأيام و لا يزال هذا الهاجس مسيطرًا على عقول البشر بشكل أو بآخر و لا أدل على ذلك من أبواب حظك اليوم في الصحف و قنوات متخصصة في قراءة المستقبل و دجالين و مشعوذين يدعون معرفة المستقبل و قراءة الطالع و يجدون رواجًا لا بأس به يشجعهم على عمل المزيد من الدعاية لهم حتى صار أي اسم مصحوبًا بلقب (المغربي) هو دليل دامغ على أن صاحبه دجال يدّعي علم الغيب.

telegram: @alanbyawardmsr

و قد كان العرب القدامى مثلهم مثل باقي أمم الأرض يهتمون بما غاب عنهم و يجتهدون في إدراكه و التوصل لعلمه فظهر فيهم كثير من المعتقدات العجيبة و الأوابد المضحكة و من أمثلة هذه المعتقدات اعتقادهم بالرتم، و الرتم هي شجرة مشهورة عند العرب كان الرجل إذا أراد الخروج إلى سفر عمد إلى غصن منها فيعقده ثم يسافر و إذا رجع نظر إلى الغصن فإذا وجده انحل قال: خانتني امرأتي، و إذا وجده معقودًا قال: لم تخني، لمن شاهد فيلم (فجر الإسلام) فإنه سيتذكر مشهدًا مشابهًا لا أعتقد أن أحدا ممن رآه قد فهم مغزاه و المراد منه.

أما عن المستقبل و ما سيحدث فيه فقد كان هذا علمًا مستقلًا دعي بالكهانة و استحوذ عليه طائفة من الناس عرفوا عند العرب بالكهان، فيا ترى ماذا كان حظ العرب القدامى من هذا العلم العجيب و من هم أشهر شخصياته و ما هي أشهر قصصهم و تنبؤاتهم؟

و ما هو موقف الإسلام من الكهانة وما حال الكهان بعد ظهور الإسلام و أشهر من أسلم منهم و قصة إسلامه؟

هذا ما سوف نجيب عنه بمشيئة الله في هذا المقال.

* * *

الكهانة

الكهانة هي إدعاء معرفة الغيب و بالأخص معرفة المستقبل، ومنها القول: تكهنت بما سيحدث، أي تنبأت بما سيحدث مستقبلًا.

و لكن التكهن قد يعني التوقع الذي يحتمل الصواب أو الخطأ أما الكهان فكانوا يدعون علم الغيب مطلقًا دون خطأ و لهم في ذلك قصص و أعاجيب.

و الفرق بين الكاهن و الساحر أن الكاهن يختص بمعرفة الغيب و ما سيحدث في قادم الأيام أما الساحر فهو من يدعي الضر و النفع بعمل الأعمال و تسخير الجان.

و قد يطلق لفظ ساحر على الكاهن أيضًا على سبيل التغليب نظرًا لاستخدام الاثنين للجن و الشياطين.

و يطلق أيضًا لفظ عراف على الكاهن و إن اختصت العرافة بمعرفة الغيب القريب مثل أن يعرف من سرق كذا أو من فعل كذا و هي أمور واقعة في الماضي أما الكاهن فيختص بمعرفة المستقبل,

قد كان للقبائل "كهان" تلتجئ إليهم في الملمات، لتستشيرهم و تعمل برأيهم في الغزو و الحرب. يسيرون معها، و قد يقودونها في المعارك.

هل يعلم الكهان الغيب؟

الثابت شرعًا أن علم الغيب أحد الأشياء التي أخفاها الله عن علم البشر، و لكنه ربما يسمح باطلاع بعض البشر عليها إما كرامة لنبي كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصد) و هذا من باب معجزات الأنبياء كالإنباء بالغيب شهادة على صدق النبي.

و إما فتنة لساحر أو كاهن عن طريق استراق الجن السمع كما سيأتي بيانه، و يكون ذلك لحكمة إلهية و لكنها تدور حول اختبار إيمان البشر.

فإجابة السؤال: نعم بعض الكهان كان يعلم بعض الأمور الغيبية و المستقبلية كما تواترت بذلك القصص و الآثار المروية عن كثير من الكهان في الجاهلية و نبوءاتهم المتعدية للأزمان و لكنها معلومات قليلة مخلوطة بكثير من الكذب و أسباب ذلك سأقوم بتفصيلها.

***

كيف يعلم الكهان الغيب؟

أمية و لكن الغالب على ظني أن الأمر من باب إمساك العصا من المنتصف حتى إذا ساد أحد الرجلين على الآخر كانت نبوءته صحيحة.

حاول أن تلاحظ هذا السجع في كلام الكهان الذين ستأتي قصصهم فيما بعد إن شاء الله.

* * *

خبيئة الكاهن

و خبيئة الكاهن هو شيء أقرب للقانون عند العرب حيث كان العرف أن من أراد أن يأتي كاهنا ليسأله عن أمر غيبي أو عن تفسير رؤيا يختبره أولا ليعلم إن كان فعلا على علم أو هو نصاب و مدعي، فكان الاختبار الشائع وقتها هو اختبار الخبيئة حيث كان الرجل يخبئ خبيئة للكاهن ثم يسأله أولا عن الشيء المخبوء و أين هو فإن أجاب الكاهن عن ذلك ثبت أنه على علم خارق للطبيعة و في حالة إن كان المطلوب هو تفسير رؤيا كان السائل يختبر الكاهن بأن يقول له: قل ما هي الرؤيا التي رأيتها و ما هو تفسيرها ! و هذا من أعجب العجب فكيف يعلم الكاهن برؤيا رآها إنسان في نومه دون أن يخبره عنها؟؟

و لكن العجيب أننا نجد في معظم هذه القصص أن الكاهن ينجح في معرفة هذه الأمور الغيبية و يجتاز اختبار الخبيئة.

سنجد أمثال هذه الاختبارات في قصة عتبة ابن ربيعة مع الكاهن اليمني و قصة هاشم و أميه مع الكاهن الخزاعي و امتحان "عبد المطلب" للكاهن "ربيعة بن حذار الأسدي" حين اختصم مع "بني كلاب و بني رباب" و اختبار ربيعة بن مضر اللخمي لكل من شق و سطيح، بل أن النبي ﷺ في قصته مع ابن صياد قال له إني قد خبأت لك خبأ و سيأتي بيان هذه القصص فيما بعد بمشيئة الله.

* * *

صفات الكهان

كان كثير من الكهان ذوي صفات جسمانية شوهاء أو ناقصة وإن كانت عقولهم حادة الذكاء و قريحتهم عامرة و بديهتهم حاضرة حتى أن المسعودي جعل صفات الكاهن كالتالي: (حدة الأذهان مع نقصان الأجسام و تشويه الخلق، من جملة العوامل التي دفعت على التكهن و الإخبار عن الغيب.) و ضرب مثلا على ذلك: (شق، و سطيح، و سملقة، و زوبعة، و سديف بن هوماس، و طريفة الكاهنة، و عمران أخي مزيقياء، و حارثة، و جهينة، و كاهنة باهلة و أشباههم من الكهان)

ويقول القلقشندي في صبح الأعشى أن الكهان لا يلبسون المصبوغ من الثياب و العرافيين لا يدعون تذييل قميصه و سحب ردائه، أي يطيل ثوبه حتى يكون كالذيل يجره وراءه.

* * *

حلوان الكاهن

الحلوان هو عطية أو أجر أو مكافأة كان يعطيها السائل للكاهن مقابل كهانته و تنبؤه و كان العرف الغالب أن الكهانة لا تكون و لا تصح إلا بتقديم شيء للكاهن، لأن التابع لا يرضى بالتنبؤ إلا إذا رأى حلاوة التنبؤ.

وعندما جاء الإسلام نهى عن الكهانة و حلوانها و جعل حلوان الكاهن من الأموال المحرمة و السحت الواضح الذي لا يجوز أكله.

* * *

أشهر كهان العرب

على مدى تاريخ العرب القديم نبغ في هذا الفن عشرات و عشرات من الكهان الذين وصل بعضهم لمراتب أسطورية جعلت بعضهم يُعبد بعد موته و يصبح بيته وثنا يُعبد كما سيأتي في قصة ذي الخلصة.

و سنذكر هنا بعضًا من أشهر هؤلاء الكهان رجالًا كانوا أو نساء فمنهم:

مكتبة بيت الحصريات

شق بن صعب اليشكري ، و سطيح بن ربيعة الذئبي ، و أوس بن ربيعة، و الخمس التغلبي، و عزى سلمة الكاهن، و نفيل ابن عبد العزي، و خنافر بن التوأم الحميري، و سواد بن قارب الدوسي، و عمرو بن الجعيد، و ابن الصياد، و الأبلق الأزدي، و الأجلح الدهري، و عروة بن زيد الأزدي، و رباح "رياح" بن عجلة، و هو معروف بعراف اليمامة، و الكاهن الخزاعي، و هو جد "عمرو بن الحمق "، و كان منزله بعسفان، و إليه احتكم هاشم و أمية، و"كهال "، أحد الكهنة الجاهليين، و الأفعى الجرهمي .

و من النساء طريفة الخير الحميرية و سودة بنت زهرة بن كلاب، عفيراء الحميرية، فاطمة بنت مر الخثعمية، سلمى الهمدانية وسجاح و غيرهن الكثير.

* * *

التنبؤ بالغيب



في هذا الفصل بمشيئة الله سنتناول بعض قصص الكهان و نبوءاتهم و سأكتفي في المقال بأربع قصص.

القصة الأولى: هند بنت عتبة و الكاهن اليماني

كانت هند بنت عتبة متزوجة من رجل يقال له الفاكه بن المغيرة و كان له في بيته مضافة خارج الدار يغشاها المحتاجون و المسافرون فيكرمهم فيها، و ذات يوم دخلت هند المضافة لترتيبها و النظر فيما ينقصها فاضطجعت قليلًا فنامت، فدخل المضافة رجل يبغي الضيافة فلما رأى هند نائمة خرج بسرعة مفزوعًا فرآه الفاكه فدخل المضافة فوجد هند نائمة فضربها برجله و قال: من هذا الذي خرج من عندك؟ فقالت أنها لم تر أحدا، فزجرها الفاكه و قال لها الحقي بأهلك. و اشتهر الأمر على ألسنة الناس و راحوا يخوضون في سمعتها، فجاءها أبوها و قال لها: أي بنية اصدقيني القول فإن كان الرجل صادقًا دسست عليه من يقتله حتى ينقطع الكلام و إن يك كاذبًا حاكمته إلى أحد كهان اليمن !

فقالت: لا والله ما هو على بصادق.

فخرج عتبة إلى الفاكه و قال له أنه يتحدث في عرض ابنته وطلب مخاصمته أمام كاهن عالم من كهان اليمن، فقبل الفاكه و خرج في جماعة من بني مخزوم و خرج عتبة و هند في جماعة من بني عبد مناف حتى أشرفوا على الكاهن فرأى عتبة في وجه ابنته تغيرًا و في تصرفاتها توترًا فسألها عن ذلك فقالت له: يا أبتي إننا قادمون على بشر يخطئ و يصيب و أخاف أن يسمني بسيما تكون عليّ سبة أبد الدهر.

فقال لها: لا تخش فسوف أختبره.

ثم أتى حصانه فصفر له ليبول فأدلى إحليله فوضع فيه حبة قمح و ربط عليها، و عندما جاءوا إلى الكاهن أكرمهم ثم قال له عتبة: لقد خبأت لك خبيئة.

فقال الكاهن: خبأت ثمرة في كمرة.

فقال عتبة: أوضح أكثر من هذا.

فقال الكاهن: حبة بر في إحليل مهر.

فقال عتبة: صدقت.

ثم وضع ابنته وسط مجموعة من النساء ثم قال له: انظر في أمر هؤلاء النسوة

فاقترب الكاهن و كلما مر على امرأة ضرب كتفها و قال لها قومي، حتى أتى إلى هند فقال

لها: قومي غير رسحاء (قبيحة) و لا زانية، و ستلدين ملكًا اسمه معاوية.

مكتبة بيت الحصريات

فقام إليها الفاكه و أخذ بيدها فجذبت يدها منه و قالت: إليك عني فإني والله سأحرص أن يكون ذلك من غيرك، ثم تزوجت بعد ذلك من أبي سفيان بن حرب و أنجبت منه معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما و الذي أصبح خليفة للمسلمين.

***

القصة الثانية: المفاخرة بين هاشم و أمية

كان هاشم سيد بني عبد مناف و أمية سيد بني عبد شمس ابني عم و كان لهاشم السقاية و قرا الحجيج فكان يهشم لهم الخبز و يطعمهم الثريد و لهذا لقب هاشمًا. ثم أراد أمية أن يكون له شرف كما لهاشم فطلب منه أن يسقي الناس و يطعمهم عامًا و هاشم عامًا فقبل بذلك هاشم و لكن أمية ما استطاع أن يفعل فعل هاشم فسخر الناس منه و عيّروه و قلّلوا منه و بصنيعه مقابل ما يصنعه هاشم، فامتلأت نفس أمية بالغيظ و الحسد على هاشم و طلب المفاخرة و المنافرة ضد هاشم أمام أحد الكهان على أن يغرم الخاسر 50 ناقة سوداء الحدق و أن يغترب عن مكة 10 سنين.

فقبل هاشم على كره منه وفي طريقهم إلى الكاهن وجدا قدحًا من خشب بالٍ كان يسمى (أطباق جمجمة) فجعلاه في يد رجل من أصحابهم ضخمًا يدعى أبو همهمة و قالا نختبر بهذه الخبيئة الكاهن الخزاعي.

فلما قدما على الكاهن قالا له: إنا قد خبأنا لك خبيئًا فأخبرنا به قبل التحاكم.

telegram: @alanbyawardmsr

فقال الكاهن: أحلف بالنور و الظلمة، و ما بتهامة من بهمة ، و ما بنجد من أكمة ، لقد خبأتم لي أطباق جمجمة، مع الفلندح [الضخم] أبي همهمة.

فقالا: صدقت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف و أمية بن عبد شمس أيهما أشرف.

فقال الكاهن: و القمر الباهر و الكوكب الزاهر و الغمام الماطر و ما في الجو من طائر و ما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر و لأمية أواخر .

telegram: @alanbyawardmsr

فغرم أمية الخمسين ناقة فذبحها هاشم و أطعمها الحاضرين و خرج أمية إلى الشام و بقي هناك 10 سنين و هذه كانت أول العداوة بين بني هاشم و بني أميه.

و المنافرات و المفاخرات لدى الكهان أكثر من أن تحصى عدد و قد حفظت لنا كتب التواريخ عددًا كبيرًا من هذه المفاخرات كمفاخرة عائذ بن عبد الله بن مخزوم و الحارث بن أسد بن عبد العزى، و مفاخرة مالك بن عميلة و عميرة بن هاجر الخزاعي و غير ذلك الكثير.

و لكننا نلحظ النسق الثابت في كل قصة (المخاصمة – التحاكم إلى الكاهن – الخبيئة – أخبار الكاهن بالخبيئة – سجع الكاهن – أخباره بالحكم).

نمط ثابت ستجده مكرزا دومًا في كل القصص و هي دلالة على تواتر الأمر بينهم.

القصة الثالثة: شق و سطيح و تعبير حلم التبع اليماني

شق و سطيح أشهر كهان العرب و أكثرهم غرابة شكلًا و قدرة، أما شق فهو شق بن الصعب اليشكري سمي شق لأنه كان نصف إنسان له يد واحدة و رجل واحدة و عين واحدة، أما سطيح فهو ربيع بن ربيعة بن مازن الذئبي و سمي سطيحًا لأنه كان قطعة لحم منبسطة و مسطحة على الأرض لا عظم في جسده إلا في رأسه وكانوا يلونه كما يلف الحصير ثم يبسطونه على الأرض و كان وجهه في المنتصف و كان إذا غضب انتفخ حتى يجلس.

يقال أنهما وُلدا في يوم واحد و كان يوم وفاة الكاهنة طريفة الخير الحميرية فأتيت بهما فتفلت في أفواههما و تنبأت بأنهما سيرثان علم الكهانة من بعدها.

و بالفعل فكانا أعلم الكهان و أكثرهم صدقًا في الأنباء بالغيب و بحوادث المستقبل و لقد اجتمعا مرة في تعبير حلم عجيب ذكره أهل السير مثل ابن اسحق و ابن هشام و غيرهما و سنرى فيها كما أسلفنا مثالًا بينا على خبيئة الكاهن و سجع الكهان فتدبرها جيدًا و هي كالتالي:

كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته و فظع بها فلم يدع كاهنا و لا ساحرًا و لا عائفًا و لا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني و فظعت بها فأخبروني بها و بتأويلها، فقالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها فإنه لا يعرف تأويلها إ لا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح و شِقٍّ فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه، فبعث إليهما فقدم عليه سَطِيح قبل شِقٍّ فقال له: إني قد رأيت رؤيا هالتني و فظعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، قال: افعل، رأيت حُمَمَة ، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تَهَمَة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة، فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين إلى جرش، فقال له الملك: و أبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن، أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع لبضع و سبعين من السنين، ثم

يقتلون و يخرجون منها هاربين، قال: و من يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرَمُ بن ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع، قال: ومن يقطعه: قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قِبَل العلي، قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمعفيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شِقّ فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت حُمَمَة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة و أكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة، قال: فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا، فإن قولهما واحد إلا أن سطيحًا قال: "وقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كل ذات جمجمة"، وقال شِقّ: "وقعت بين روضة و أكمة، فأكلت كل ذات نسمة". فقال الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئًا فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طَفْلَة البنان ، و ليملكن ما بين أبين إلى نجران، فقال له الملك: و أبيك يا شِقّ إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن، و يذيقهم أشد الهوان، قال: و مَنْ هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدنيّ ولا مُدَنّ ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق و العدل، بين أهل الدين و الفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل، قال: و ما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزي فيه الولاة، و يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء و الأموات، و يجمع فيه الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز و الخيرات، قال: أحقّ ما تقول؟ قال: إي وربّ السماء و الأرض، و ما بينهما من رفع و خفض، إنّ ما أنبأتك به لحق ما فيه أمْض.

قال ابن إسحاق: فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهّز بنيه و أهل بيته إلى العراق بما يصلحهم و كتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرَّزاد فأسكنهم الحيرة.

* * *

القصة الرابعة تخاصم عبد المطلب و جندب ابن الحارث

كان لعبد المطلب بن هاشم بئر ماء بالطائف، يقال له ذو الهدم، فادعته ثقيف فجاؤوه فاحتقروه، فمنعهم عبد المطلب فعظم خصامهم، فنافرهم عبد المطلب إلى سطيح، فخرج عبد المطلب و معه ابنه الحارث، و خرج معه جماعة من قومه، و خرج خصمه جندب بن

الحارث في جماعة من ثقيف، فلما كان في بعض الطريق نفد ماؤهم فطلبوا إلى الثقيفيين أن يسقوهم فلم يفعلوا، فنزل عبد المطلب و أصحابه، و هم لا يشكون أنه الموت، ففجر الله عين ماء عذب من تحت بعير عبد المطلب فشربوا و استقوا و حمد الله عز و جل عبد المطلب و شكره و ساروا على طريقهم فنفد ماء الثقفيين فسألوا عبد المطلب أن يسقيهم ففعل فقال له الحارث: لأن أدخل سيفي في بطني أخف علي من أن أفعل ذلك! قال له يا بني اسقهم فإن الكرم ثقيل الحمل، فسقاهم فساروا فقطعوا رأس جرادة فجعلوه في خرز مزادة، و علقوه في جلد في عنق كلب لهم اسمه سوار، و كانت في عنقه قلادة لا تفارقه.

فأتوا سطيحا فلما دخلوا عليه قالوا إنا أتيناك سائلين، قال فماذا تسألون؟ قالوا نسأل عن شيء قد خبأناه (راجع: خبيئة الكاهن)، و نحتكم عندك في شيء وقع التخاصم بيننا فيه، فقال خبأتم رأس جرادة في خرز مزادة في عنق سوار ذي القلادة، قالوا صدقت فأخبرنا عما اختصمنا فيه اليك، قال احلف بالضوء و الظلم، و البيت ذي الحرم، أن الدفين ذا الهدم، لهذا العربي ذي الكرم، فانصرفوا و قد قضى لعبد المطلب.

* * *

الرؤيا

ولا زلنا مع الرؤى الغريبة التي حوت نبوءات مستقبلية أو خوارق لا يمكن تصديقها وسنذكر هنا رؤيتين تحوي الأولى ظاهرة خوارقية و الثانية نبؤة مستقبلية.

1 - حاتم الطائي يكرم ضيوفه و هو ميت

مرٌ نفر من عبد القيس بقبر حاتم الطائي فنزلوا قريبًا منه فقام إليه رجل يقال له: أبو الخيبري و جعل يركض برجله قبره (أي يرفسه و يدمدم عليه برجله)، و يقول: أقْرِنا، أي ضيفنا و اكرمنا - فقال له بعضهم: ويلك! ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات؟ قال: إن طيًا تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قراه، ثم أجنّهم الليل، فناموا، فقام أبو الخيبري فزعًا وهو يقول: وا راحلتاه! فقالوا له: ما لك؟ قال أتاني حاتم في النوم، وعقر ناقتي بالسيف، و أنا أنظر إليها، ثم أنشدني شعرًا حفظته يقول فيه:

أبَا الخَيبــَرِيِّ وَ أنـــتَ امــرُؤٌ

ظَلُــومُ العَشيــرَةِ شَتَّامُهَـــا

أتَيتَ بِصَحْبِكَ تَبغــِي القِــرَى

لَدَى حُفْرَةٍ قَــدْ صَــدَتْ هَامُهَـا

أتَبْغِي لِيَ الذَّنْــبَ عِنْــدَ المَبِيتِ

وَحَــوْلَكَ طَــيْءٌ وَأنْعَـــامُهَـــا

وَ إنَّا لَنُشْـــبِعُ أضْــيَافَنَـــا

وَ نَأتِــي المَطِـــيَّ فَنَعْـــتَامُهَـــا

فقاموا، و إذا ناقة الرجل تكوّس عقيرًا،- أي تتلوى في الأرض تحتضر - فنحروها و باتوا يأكلون، و قالوا قرانا حاتم حيًا و ميتًا؟! و أردفوا صاحبهم و انطلقوا سائرين، و إذا برجل ركب بعيرًا و هو يقود آخر، قد لحقهُ، و هو يقول: أيّكم أبو الخيبري؟

قال الرجل: أنا!

قال: فخذ هذا البعير، أنا عدي بن حاتم، جاءني حاتم اليوم في النوم، و زعم أنه قراكم بناقتك، و أمرني أن أحملك فشأنك و البعير، و دفعه إليهم و انصرف!

و في ذلك يقول الشاعر لعدي بن حاتم الطائي

أبوك أبو سباقة الخير لم يزل

لدن شبّ حتى مات في الخير راغبا

قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به

و لم يقر قبر قبله الدهر راكبا

* * *

2 - رؤيا الموبذان و انصداع الإيوان

لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، و سقطت منه أربع عشرة شرفة، و خمدت نار فارس، و لم تخمد قبل ذلك بألف عام.

و غاضت بحيرة ساوة، و رأى الموبذان– وزير كسرى - إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة و انتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، فتصبر عليه تشجعًا، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرازبته– حاشيته - فجمعهم و لبس تاجه و جلس على سريره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك ذلك.

فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران، فازداد غمًا إلى غمه، ثم أخبرهم بما رأى و ما هاله، فقال الموبذان – و أنا أصلح الله الملك – قد رأيت في هذه الليلة رؤيا، ثم قصّ عليه رؤياه في الإبل. فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟

قال: حدث يكون في ناحية العرب – و كان أعلمهم من أنفسهم – فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) أما بعد: فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الغساني.

فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: لتخبرني، أو ليسألني الملك عما أحب، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذي وجه به إليه فيه.

قال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام، يقال له: (سطيح)، قال فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره.

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح، وقد أشفى على الضريح– شارف على الموت - ، فسلم عليه و كلمه فلم يرد إليه سطيح جوابًا، فأنشأ يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن

أم فاد فاز لم به شأو العنن

يا فاصل الخطة أعيت من ومن

أتاك شيخ الحي من آل سنن

قال: فلما سمع سطيح شعره، رفع رأسه يقول:

(عبد المسيح على جمل مشيح، أتى سطيح، و قد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، و رؤيا الموبذان، رأى إبلًا صعابًا، تقود خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها.

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، و ظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، و غاضت بحيرة ساوة، و خمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك و ملكات على عدد الشرفات، و كلما هو آت آت)، ثم قضى سطيح مكانه، فنهض عبد المسيح إلى راحلته و هو يقول:

شمر فإنك ماضي العزم شمير

لا يفزعنك تفريق وتغيير

إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم

فإن ذا الدهر أطوار دهارير

قال: فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا، تكون أمور وأمور.

أي حتى يملك أربعة عشر ملكًا تمر قرون و قرون فهذا خبر سعيد بالنسبة لكسرى فملك منهم عشرة في أربع سنين فقط، و ملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه حتى قضى على آخرهم (يزدجرد) بعد فتح نهاوند و سقوط مملكة فارس إلى الأبد.

* * *

ابن الشيطان



تذخر العديد من أساطير الشعوب و ثقافتها بأسطورة ابن الشيطان ذلك الذي كان نتاجًا لتزاوج الشياطين ببنات البشر.

و لعل قصة (النفاليم) في سفر التكوين أول أسفار التوراة شاهدا على ذلك حيث تحكي أن الملائكة الساقطين (الشياطين) تزاوجوا ببنات البشر و أنجبوا (النفاليم) و هذه التسمية التي تترجم بالجبابرة، و كذلك في عديد من الثقافات الأخرى تذكر قصصًا مشابهة و يكون الناتج دومًا مخلوقًا مشوهًا بين الإنسان و الشيطان فهو إنسان و لكن بقدرات فائقة تفوق قدرات البشر.

و العرب كان لهم حظ من تلك الأسطورة كما سبق وقلنا في قصة أبناء السعلاة يربوع ابن عمرو كما سبق و كذلك يروي الخرائطي في كتابه هواتف الجن عن ذي الخلصة كاهن قبيلة دوس الذي صار بيته بعد موته وثنا يعبد.

فيقول: أن مرداس بن قيس الدوسي و كان صحابيًا للنبي صلى الله عليه و سلم و كان من قبيلة دوس قال أنه حضر عند النبي صلى الله عليه و سلم و قد ذكرت عنده الكهانة و ما كان من تعبيرها عند مخرجه (أي إرهاصات بعثته ﷺ كما تقدم) قال: فقلت يا رسول الله قد كان عندنا من ذلك شيء أخبرك به.

ثم شرع يحكي تلك الحكاية العجيبة.

أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم نعلم عليها إلا خيرًا (أي أنها كانت طيبة السمعة طاهرة الشرف) إذ جاءتنا فقال: يا قوم العجب العجب لما أصابني ! هل علمتم علي إلا خيرًا؟

فقلنا وما ذاك؟

قالت إني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة و وجدت كحس الرجل مع امرأته فقد خشيت إني قد حبلت.

أي تقول أنها كانت ترعى الغنم حينما أظلمت الدنيا من حولها فجأة و شعرت أن هناك من يعاشرها كمعاشرة الرجل للمرأة و لكنها لم ترَ أحدًا و تخش أن تكون قد حبلت، و لهذا أشهدتهم أولًا: هل علمتم إلا خيرًا؟ أي أنكم تعلمون أني لست بفتاة سوء و لا بغي أما و قد علمتم هذا فإنه قد حدث لي كذا و كذا فإن حبلت فلا تظلموني فما حدث إلا من ذلك.

يقول مرداس: حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلامًا أغضف له أذنان كأذني الكلب فمكث فينا حتى أنه ليلعب مع الغلمان !

أي أنه ولد مشوهًا و له أذنان كأذنا الكلب و كبر حتى صار يلعب مع الغلمان في دوس

٢٧٠٦٠١٥٦٩٨

يقول: إذ وثب وثبة وصاح بأعلى صوته و جعل يقول يا ويله يا ويله

يا عوله يا عوله يا ويل غنم و يا ويل فهم من قابس النار ثم راح يرتجز

الخيل والله وراء العقبة

فيهن فتيان حسان نجبة

و المعنى أن هذا الغلام الشيطاني وثب وسط القوم و أخذ يصيح صياح المحذر لهم من خطر محدق و أن هناك قبيلة ستغير عليهم من وراء الجبل.

قال: فركبنا و أخذنا السلاح و قلنا ويلك ما ترى؟

ثم تستمر الحكاية أن الغلام طلب منهم جارية طامث أي في وقت طمثها و أمرها أن تخلع ملابسها و تسير و أن يتبعوا أثرها فوصلوا إلى القوم فحملوا عليهم فهزموهم و كسروهم وعادوا إلى مضاربهم منتصرين.

و كان لهذا الخبر و النصر أبلغ الأثر في قلوب الدوسيين الذين منذ هذا اليوم صاروا يقدسون الغلام و يستمعون لرأيه و لا يصدرون إلا عن أمره و بنوا له بيتًا و سموه (ذو الخلصة) و كان لا يخبرهم بأمر إلا كان كما قال.

يقول: حتى كان مبعثك يا رسول الله !

أي أن نبؤات هذا الكاهن الشيطاني كانت صادقة حتى جاءت البعثة النبوية فتغير الحال.

يقول: قال لنا يومًا يا معشر دوس، نزلت بنو الحارث بن كعب فاركبوا، فركبنا فقال لنا: اكدسوا الخيل كدسًا، و احشو القوم رمسًا. القوهم غدية و اشربوا الخمر عشية

أي أنه بشرهم بمعركة سهلة مع قبيلة أخرى سيغلبون ويغنمون و يحتفلون بعدها.

يقول: فلقيناهم فهزمونا و فضحونا !

فرجعنا إليه فقلنا: ما حالك؟ وما الذي صنعت بنا؟

فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه و ابيضت أذناه و انزم غضبًا حتى كاد أن ينفطر.

أي أنهم حين عاتبوه على نبوءته الكاذبة وجدوه مغتاظًا أكثر منهم غير مصدق أن نبوءته قد أخطأت.

يقول: وقام فركبنا و اغتفرنا هذه له.

ثم مكثنا بعد ذلك حينا ثم دعانا فقال: هل لكم في غزوة تهب لكم عزًا و تجعل لكم حرزًا

و تكون في أيديكم كنزًا؟

قلنا: ما أحوجنا الى ذلك.

فقال اركبوا، فركبنا، و قلنا: ما تقول؟

أي أن القوم استعدوا و ركبوا خيولهم وحملوا أسلحتهم و انتظروا منهم أن يشير إليهم على القبيلة التي يجب أن يذهبوا إليها ليقاتلوها و ينتصروا و يغنموا.

و هنا نرى التخبط الذي أصاب ذا الخلصة و عدم استقراره على رأي ليدل على أن ما كان يأتيه من خبر قد اختلط عليه و تشوش فقال:



بنو الحارث بن مسلمة !

ثم قال: قفوا .. فوقفنا

ثم قال: عليكم بفهم

ثم قال: ليس عليكم فيه دم

ثم قال: عليكم بمضر، هم أرباب خيل ونعم.

ثم قال: لا

ثم قال: رهط دريد بن الصمة، قليل العدة وفي الذمة

ثم قال: لا

و لكن عليكم بكعب بن ربيعة و أشكرها صنيعة عامر بن صعصعة فلتكن بهم الوقيعة

يقول: فلقيناهم فهزمونا وفضحونا !

فرجعنا و قلنا: ويلك ! ما تصنع بنا؟

قال: ما أدري، كذبني الذي كان يصدقني.

أي أن رئيه من الشياطين الذي كان يخبره الخبر الصادق أصبح يقول له أنباء كاذبة

ثم قال: اسجنوني في بيتي ثلاثًا ثم أتوني.

قال: ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلاثة أيام ففتحنا الباب فإذا هو كأنه جمرة نار.

أي عندما عادوا له في الموعد و فتحوا عليه بابه وجدوه مشتعلًا كجمرة النار و لكنه لم يكن يتألم بل يتكلم و يقول: يا معشر دوس، حرست السماء و خرج خير الأنبياء.

قلنا: أين؟

قال: بمكة، و أنا ميت فادفنوني فإني سوف اضطرم نارًا و إن تركتموني كنت عليكم عارًا.

فإذا رأيتم إضرامي و تلهبي فاقذفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر: باسمك اللهم فإني أهدأ و أطفأ.

قال: و أنه مات فاشتعل قبره نارًا ففعلنا به ما أمر فقذفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر باسمك اللهم فخمد و طفئ.

و ينهي قصته بقوله: و أقمنا حتى قدم علينا الحجيج فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله.

و من المعلوم أن دوسًا كانت اتخذت من بيت ذي الخلصة معبدًا وراحت تتقرب إليه وتنحر عنده فلما جاء الإسلام دمر البيت وانتهى أثره.

و لكن في الحديث ـن من علامات آخر الزمان عودة الكفر و الشرك إلى بلاد العرب و منها: روى البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة" و ذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

و هذا يعني أن دوس ستعود مرة أخرى لعبادة ذي الخلصة قبل قيام الساعة.

* * *

مدينة النحاس الخفية

والقطر سال بها فصاغ مدينة

عجبًا يحار الوهم دون صفاته



عرفت كثير من الحضارات تيمة المدينة الخفية التي تحوي من الثروات و الكنوز ما لا يعرفه إنسان و لا خطر على باله و يمكن أن ندلل على ذلك بمدينة الدورادو الذهبية في ثقافات المايا و الأنكا و أطلانطس عند اليونان و غير ذلك الكثير من الأمثلة المنتشرة في كافة الحضارات و الثقافات القديمة.

و العرب أيضًا:

آمنوا بمدن غنية مفقودة و كانوا يتناقلون غرائبها و كنوزها المخفية مما دغدغ أحلام بعض الأبطال في محاولة للبحث عنها.

فمنها مدن أتى الإسلام بتصديق وجودها و نزلت فيها آيات بينات كمدينة إرم ذات العماد التي وصفها القرآن في قوله تعالى (إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد).

و منها مدن بقيت أساطير خيالية تروى للتفكهة و الطرافة ولكن لا دليل مصدق على صدق وجودها و ربما يكون أشهر مثال على ذلك قصة (مدينة النحاس).

و لنرى ما كتبه عنها الجغرافي الشهير (زكريا بن محمد ابن محمود القزويني) صاحب كتاب (آثار البلاد و أخبار العباد).

يقول: مدينة النحاس و يقال لها مدينة الصفر (و الصفر هو النحاس)

يقول: لها قصة عجيبة مخالفة للعادة جدا و لكني رأيت جماعة كتبوها في كتب معدودة فكتبتها أيضًا و مع ذلك فإنها مدينة مشهورة الذكر.

أي أنه كعالم جغرافي يستغرب هذه القصة و لولا أنه رآها في بعض كتب الأقدمين ما ذكرها حيث أنها جغرافيا مجهولة المكان.

قال ابن الفقيه: ذهب العلماء الأقدمون إلى أن مدينة النحاس بناها ذو القرنين و أودعها كنوزه و طلسمها فلا يقف عليها أحد، وجعل في داخلها حجر البهتة ! و هو مغناطيس الناس فإن الإنسان إذا اقترب منه جذبه كما يجذب المغناطيس الحديد و لا ينفصل عنه حتى يموت، و أنها في مفاوز الأندلس.

أي أن هذه المدينة الأسطورية يعتقد أنها في الأندلس (إسبانيا حاليًا).

أما أبو حامد الأندلسي فيقول أن الذي بناها هو سليمان بن داود وأن الجن هي التي بنتها له، و أنها أربعون فرسخًا و علو سورها خمسمائة ذراع و ليس لها باب.

و يحكى أنه لما بلغ عبد الملك بن مروان خبر مدينة النحاس وخبر ما فيها من الكنوز و أن إلى جانبها بحيرة فيها من الكنوز الكثير و أموال عظيمة، فكتب إلى موسى ابن نصير عامل المغرب و أمره بالمسير إليها و الحرص على دخولها و أن يعرفه حالها و دفع الكتاب إلى طالب بن مدرك فحمله إلى موسى و هو بالقيروان فلما قرأه تجهّز و سار في ألف فارس نحوها فلما رجع كتب إلى عبد الملك ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم.

أصلح الله أمير المؤمنين صلاحًا يبلغ الدنيا و الآخرة، أخبرك يا أمير المؤمنين إني تجهزت لأربعة أشهر و سرت في مفاوز الأندلس و معي ألف رجل حتى أوغلت في طرق قد انطمست و مناهل قد اندرست و عفت فيها الآثار و انقطعت عنها الأخبار فسرت ثلاثة و أربعين يومًا أحاول الوصول إلى مدينة لم ير الراؤون مثلها ولم يسمع السامعون بنظيرها.

فلاح لنا بريق شرفها من مسيرة ثلاثة أيام فأفزعنا منظرها الهائل و امتلأت قلوبنا رعبًا من عظمها و بعد أقطارها.

فلما قربنا منها إذا أمرها عجيب و منظرها هائل فنزلنا عند ركنها الشرقي ثم وجهت رجلًا من أصحابي في مائة فارس و أمرته أن يدور حول سورها ليعرف بابها فغاب عنا يومين ثم وافى اليوم الثالث فأخبرني أنه ما وجد لها بابًا و لا رأى إليها مسلكًا.

قال موسى: فجمعت أمتعة أصحابي إلى جانب سورها و جعلت بعضها على بعض لأنظر من يصعد إليها فيأتيني بخبر ما فيها فلم تبلغ أمتعتنا ربع الحائط لارتفاعه فأمرت عند ذلك

باتخاذ السلالم فشد بعضها إلى بعض بالحبال و نصبتها إلى الحائط و جعلت لمن يصعد إليها و يأتيني بخبر ما فيها عشرة آلاف درهم فانتدب لذلك رجل من أصحابي يتسنم و يقرأ و يتعوذ.

فلما صار على سورها و أشرف على ما فيها قهقه ضاحكًا و نزل إليها فناديناه أن أخبرنا بما فيها و بما رأيته فلم يجبنا.

و يذكر أبو حامد الأندلس أن الرجل ضحك و ألقى نفسه في المدينة فسمعوا من داخلها أصواتا و قعقعة عظيمة.

ثم عاد موسى ابن نصير ينتدب رجلًا آخر ليصعد و يخبرهم الخبر و جعل لمن يصعد ألف دينار فأقبل رجل آخر و صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكًا ثم نزل إليها و حدث مثل ما حدث لسابقه و سمعوا صوتًا مرعبًا قادمًا من الداخل.

فصعد رجل ثالث شجاعًا و ربطوه من وسطه بحبل فلما وصل لنهاية السور فعل مثل صاحبيه و ضحك وألقى بنفسه إلا أن الرجال جذبوه بالحبل فعاد إليهم نصفه فقط و نصفه الآخر مفقود.

بعدها لم ينتدب موسى أحدًا للصعود و أخذ يدور حول السور حتى وصل إلى البحيرة فقال: فكانت ميلًا في ميل كثيرة الأمواج و إذ رجل قائم فوق الماء فنادوه: من أنت؟

فقال: أنا رجل من الجن كان سليمان بن داود حبسه في هذه البحيرة.

قال فأتيت لأنظر ما حاله فقلنا له: ما بالك قائمًا فوق الماء؟

فقال: سمعت صوتًا فظننته صوت رجل يأتي هذه البحيرة في كل عام مرة و هذا أوان مجيئه فيصلي على شاطئها أيامًا و يهلل الله و يمجده.

قلنا من تظنه؟

قال: أظنه الخضر عليه السلام.

قال فغاب عنى و اختفى فلم ندر كيف اخذ !

قال و كنت قد أحضرت معي عدة من الغواصين فغاصو في الماء فرأوا ما يشبه الصناديق من النحاس مختومة بالرصاص فأخرجوا واحدًا فأمرت به ففتح فخرج منه رجل من نحاس على فرس بيده رمح نحاسي فطار في الهواء و هو يقول: يا نبي الله لا أعود.

ثم غاصوا ثانية و ثالثة و في كل مرة يحدث مثلما حدث في الأولى.

قال ثم ضجّ الرجال خوفًا من انقطاع الزاد - حيث أن ما عندهم من زاد شارف على الانتهاء و ليس هناك مكان قريب يتزودوا منه -

قال: فأخذت الطريق التي سلكتها أولا حتى عدت إلى القيروان و الحمد لله الذي حفظ لأمير المؤمنين أموره وسلم له جنوده و السلام.

قال فلما قرأ عبد الملك كتاب موسى و كان عنده الزهري قال له: ما تظن بأولئك الذين صعدوا السور؟

قال الزهري: يا أمير المؤمنين لأن لتلك المدينة جنًا قد وكلوا بها.

قال: فمن أولئك الذين يخرجون من الصناديق و يطيرون؟

قال: أولئك مردة الجن الذين حبسهم سليمان بن داود عليه السلام في البحار.

هذه رواية ابن الفقيه.

و يقول ابو حامد الأندلسي في وصف مدينة النحاس قصيدة منها:

و تقبل الملكوت ربعي حيث

ما فلك البروج يجر في سجداته

و الريح يحمله الرخاء فإنما

شهرين مطلعها إلى روحاته

كالطود مبهمة بأس راسخ

أعيا البرية من جميع جهاته

و القطر سال بها فصاغ مدينة

عجبًا يحار الوهم دون صفاته

حصن النحاس أحاط من جنباتها

و على غلو السهم في غلواته

فيها ذخائره وجل كنوزه

والله يكلؤها إلى ميقاته

في الارض آيات فلا تك منكرًا

فعجائب الأشياء من آياته

و يذكر أن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان قد ذكر هذه القصة و عقب عليها بالتكذيب و أنها خيالية منافية للواقع ومخالفة للعقل.

أماكن محظورة

سبق و ذكرت أن العرب العاربة كانوا يعتقدون أن العرب البائدة من أمثال (عاد - ثمود - جديس - جرهم - العماليق.. إلخ) هم أبناء الجن ولذلك حرموا الإقامة و المرور بأرضهم التي سكنوها سابقًا مثل الحجر(مساكن ثمود) و الأحقاف (مساكن عاد) و غير ذلك من المناطق مثل (يبرين - وادي صيهد - وادي عبقر.. إلخ) و قد سبق الكلام عن وادي عبقر (راجع فصل العباقرة و شياطين الشعر).

telegram: @alanbyawardmsr

و سوف نتحدث هنا عن واحد من أهم هذه المواضع المحظورة و التي لازالت تحاك حولها القصص و الأساطير حتى يومنا هذا.

بئر برهوت



خلاصة الخلاف ما بين الجغرافيين في تحديد موقع بئر برهوت فالراجح و المتفق عليه أنه هو البئر الموجود باليمن بمحافظة المهرة و الذي يبلغ قطره 25 متر و عمقه 250 متر على الاقل.

و هذه البئر أثارت الرعب و الخيال عند العرب من عصور ضاربة في القدم من أقدم العصور الجاهلية و حتى البعثة النبوية بل و في العصور الإسلامية و حتى اليوم.

telegram: @alanbyawardmsr

من المعتقد عند العرب أن منطقة وادي برهوت هو أحد الأودية التي كانت يتكون منها مساكن قوم عاد حيث كان لهم العديد من الأودية (فلما رأوه عارضًا مستقبلًا أوديتهم.. الآية).

و أن الله تعالى قد عمهم بعذابه فأرسل عليهم الريح العقيم فأهلكتهم.

و من هنا بدأت أسطورة مفادها أن قوم عاد حين أحسوا بهلاكهم احتفروا بئرًا عميقًا كي

يودعوا فيه ذهبهم و كنوزهم و حمايتها من الأعاصير التي أرسلت عليهم لسبعة ليال و ثمانية أيام حسومًا فإذا انقضت العاصفة استخرجها من بقي منهم، و لكن الرياح لم تبق لهم بقية ليستخرجوها فبقيت البئر بما فيها.

و اختلف الناس في قصة البئر ومن احتفرها على آراء و أقوال، فمنهم من قال أن الذي حفرها هم ملوك الجن لكي تكون سجنًا للمردة العصاة و من يخالفون عن أمرهم

ومنهم من قال أن أحد ملوك حمير كانت الجن تخدمه فأمرهم بحفر هذه البئر ليودع فيها أمواله و كنوزه و بعد موته سكنتها الجن و أصبحت لها وطنا، و قالوا الدليل على ذلك أن كلمة برهوت بالحميرية القديمة تعني أرض الجن !

و قد سبق الرأي القائل بأن من حفرها هم قوم عاد.

ثم اقفرت المنطقة تمامًا و لم يعد أحد يسكنها و كثرت الحكايات التي جاءت عن المسافرين الذين يمرون بهذا الوادي و يبيتون بهذه البئر.

فمنهم من حكى أنه بات في الوادي قرب البئر فسمع أصوات صراخ و أناس معذبون تأتيه من البئر ففزع و ترك الوادي.

و منهم من حكى عن السنة نارًا تخرج من البئر و ترمي بها المناطق المحيطة فتحرق كل ما مسته.

ومنهم من حكى عن سماعه صوتًا يخرج من البئر ليلًا يقول (يا دومه.. يا دومه)

كل هذه الحكايات رسخت لدى العرب خوفهم من هذا الوادي وهذه البئر، و يصفها الإخباريين بأنها سوداء لا يدرك قعرها بها ماء أسود منتن الرائحة.

وعندما بعث النبي ﷺ و انتشر الإسلام كان له موقف مهم من هذه البئر العجيبة.

ففي معجم الطبراني روى حديثًا عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم يقول (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، و شفاء من السقم، و شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام، يصبح يتدفق، و يمسي لا بلال بها).

و النبي ﷺ لم يخص بئر برهوت وحدها بكراهة مائها بل في واقعة أخرى مرَّ النبي و أصحابه و هم خارجون للقاء الروم في غزوة تبوك بمساكن ثمود فأخذوا يغترفون الماء من آبارها و عجنوا به عجينهم فنهاهم النبي عن الأخذ من آبار ثمود وأ مرهم أن يعلفوا العجين دوابهم و لا يقربوا ماء ثمود إلا البئر التي كانت ترده الناقة.

و يبدو أن الأمر يختص بالأماكن التي وقع فيها العذاب على الأمم الأخرى فماء آبار ثمود كانت في مكان عذب الله فيه هؤلاء القوم و كذلك بئر برهوت.

و لهذا نجد في الفقهاء من كره استخدام ماء أرض قوم لوط أيضًا لوقوع العذاب بهم

و قد ورد أن أرواح الكفار محبوسة في هذه البئر !

و يحكي الأصمعي عن رجل من برهوت أنهم يشمون الرائحة المنتنة الفظيعة من هذه البئر فلا يلبثون إلا و يأتيهم الخبر بأن عظيمًا من الكفار قد مات فيقولون أن الرائحة كانت منه.

و روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أبغض بقعة في الأرض إلى الله عز وجل: وادي برهوت بحضرموت، فيه أرواح الكفار، و فيه بئر ماؤها، أسود منتن، تأوي إليه أرواح الكفار، و عنه أنه قال: شر بئر في الأرض: بئر في برهوت، تجتمع فيه أرواح الكفار.

و في بعض القصص تحكي أن هذه البئر على فم جهنم لهذا يسمع منها أصوات المعذبين من الكفار، و قال آخرون أن دومة الذي يذكر اسمه في بعض القصص هو الملك الموكل بالكفار.

ثم تستمر القصص التى تحكي عن هذه البئر حتى العصر الحديث حيث يحكي أنه جاء موسم جدب و قفر و شح في الماء فتذكر بعض سكان المنطقة بئر برهوت و أن به ماء فأنزلوا أحدهم معلقًا بحبل ليستكشف قاعها و لكنهم سمعوا صراخه من الأسفل فرفعوه فلم يجدوا في الحبل إلا رأس الرجل !

حكاية أخرى عن امرأة تركت وليدها بالقرب من البئر و ذهبت ترعى الغنم ثم لم تجده

و بعيدًا عن هذه الحكايات الشعبية التي لا يمكن التيقن من صحتها فقد حاول بعض العمال في شركة خط الصحراء استكشاف البئر فحمل أحدهم كاميرا و ربطوه بحبل و أدلوه في البئر و لكن بعد أن وصل إلى مسافة 100 متر سمعوه يصيح مفزوعًا ليخرجوه فأخرجوه و هو في حالة من الهلع و لما سألوه قال لهم أنه رأى فتحة البئر من فوقه و كأنها تنغلق، و عندما راجعوا الفيديو المسجل وجدوا شاشة سوداء رغم أن الوقت كان ظهرًا و فترة تعامد الشمس على فتحة البئر إلا أن الكاميرا لم تسجل شيئًا.

و يمكن مشاهدة مجموعة من الأفلام الوثائقية على شبكة الإنترنت تتحدث عن هذا البئر و ما يُحاك حوله، و هناك فديو بعينه يقوم فيها المصور بتقريب لاقطات الصوت من فم البئر لتسمع صوتًا شديدًا لهدير المياه و كأنما هناك شلالًا ضخمًا في قاع هذا البئر رغم أنه لا يبدو كذلك، فمن أين تأتي هذه المياه المتدفقة الغزيرة في هذه الصحراء القاحلة؟

و ذكرني هذا المقطع بالجزء الأخير من حديث النبي عن بئر برهوت (يصبح يتدفق، و يمسي لا بلال بها) فسبحان الله العظيم.

وقد ذهب الكثير من المؤرخين المتأخرين إلى وضع بعض التفسيرات العلمية المقبولة لتفسير بعض الظواهر التي تحيط بهذه البئر مثل أن بئر برهوت ما هي إلا فتحة بركان خامد كان ثائرًا في العصور القديمة و هذا يفسر بعض الروايات عن الأصوات المرعبة و النار التي كانت تخرج منه وفق بعض الروايات.

و كذلك تفسير الروائح المنتنة التي تخرج من البئر كل فترة على وجود خفافيش كثيرة تعيش في البئر و أن فضلاتها هي ما تثير تلك الروائح المنتنة.

و لكن يظل بئر برهوت لغزًا و مكانًا مرعبًا حتى يتم دراسته دراسة وافية و يتم استكشافه بشكل كامل و تفسير ظواهره وغرائبه بشكل مفصل.

* * *

رجال و أساطير

تذخر القصص العربية بالعديد من الشخصيات الأسطورية منها الأبطال الخارقين المنحازين للخير و الحق المدافعين عن الناس و منهم الشر الخالص.

telegram: @alanbyawardmsr

و سوف نستعرض في هذا الفصل مثالين الأول لبطل عربي أسطوري و لكن له وجود تاريخي لا ينكر و الآخر شر خالص لا خير فيه لا أحد يعلم إن كان حقيقيًا أم خياليًا أم أن فيه جزءًا من الحقيقة بنى عليها جبالًا من الخيال.

* * *

خالد بن سنان – مطفئ نار الحدثين



سبق ذكر خالد بن سنان في قصة العنقاء و أن الناس قد شكوا له هذا الطائر الكاسر الذي يخطف الأطفال ويذهب بهم مغربًا ليأكلهم و أنه قد دعا عليها فضربتها صاعقة فماتت و لم تعقب نسلًا فارتاح الناس من شرها.

و لقد اختلف في خالد هذا أشد الاختلاف حتى اعتقد الكثيرون أنه نبي من أنبياء الفترة ما بين عيسى عليه السلام و محمد صلى الله عليه و سلم و هناك من قال بل هو رجل من الأحناف و كان صالحًا بل و منهم من أنكر وجوده بالكلية و اعتبره من الأساطير.

و لكن شهرة خالد بن سنان لم تأت من قبل قصة العنقاء على الرغم من غرابتها بل من

قصة أخرى أشد غرابة و أكثر إثارة.

قرب المدينة المنورة توجد حرتان (الحرة أرض ذات حجارة سوداء - حجارة بركانية) الحرة الأولى هي حرة ليلى وراء وادي القرى و حارة النار قرب المدينة.

قبل مولد النبي ﷺ بسنوات انفجرت النيران من الحرتين نيران عظيمة يروي عنها ابن الكلبي أنها كان يخرج منها عنق فيسيح مسافة ثلاثة أو أربعة أميال، لا تمرُّ بشيء إلا أحرقته.

telegram: @alanbyawardmsr

و يقول عنها الجاحظ: فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء فكانت طيئ تنفش بها إبلها على مسيرة ثلاثة أيام، و ربما خرجت منها العنق فتأتي على كل شيء فتحرقه و إذا كان النهار فإنما هي دخان يفور.

و يقول ابن أبي شيبة: تعشي الإبل بضونها من مسيرة ثمانية أيام.

وفي هذه النار يقول الشاعر:

كنار الحرتين لها زفير

تصم مسامع الرجل السميع

و لقد كانت هذه النار فتنة عظيمة للعرب حيث أنهم كانوا يجاورون المجوس من بلاد فارس من عباد النار و يسمعون عن تأليه النار و عبادتها فلما اندلعت هذه النار العظيمة فتن بها العرب حتى كادت الحجاز أن تتمجس و تدخل في عبادة النيران.

telegram: @alanbyawardmsr

و كانت بنو عبس من القبائل التي اختارت عبادة النار فقام فيهم خالد بن سنان ناصحًا و واعظا بأن هذه النيران لا تنفع و لا تضر إلا بإذن ربها فكذبوه فتحداهم قائلًا: أنا أطفئ عنكم نار الحدثين ! ثم أخذ من كل بطن من بنى عبس رجلًا فخرج بهم نحوها، و معه درّة حتى انتهى إلى طرفها، و قد خرج منها عنق كأنه عنق بعير فأحاط بهم، فقالوا: هلكت والله أشياخ بنى عبس آخر الدهر! فقال خالد كلّا! و جعل يضرب ذلك العنق بالدّرّة و يقول: "بدًا بدًا، كلُّ هدى الله يؤدّى! أنا عبد الله خالد بن سنان!" فما زال يضربه حتى رجع، و هو يتبعه و القوم معه كأنه ثعبان يتملك حجارة الحرّة حتى انتهى إلى قليب، فانساب فيه و تقدّم عليه. فمكث طويلًا. فقال ابن عم لخالد، يقال له عروة بن شب: لا أرى خالد يخرج إليكم أبدًا! فخرج ينطف عرقًا، و هو يقول: زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج. فقيل لهم بنو راعية المعزى إلى الآن.

و لك أن تتخيل هذا المنظر الأسطوري لرجل يتحدى نيران البركان و حممه بعصى بسيطة فيضربها بالعصى فتنساب متراجعة أمامه من ضرباته حتى تعود إلى شق الحرة كما ينسل

الثعبان إلى جحره.

مشهد أسطوري و لا شك.

و لكن لم تقف عجائب خالد بن سنان عند هذا بل تستمر الحكاية فتقول: إن خالد بن سنان حين حضرته الوفاة جمع قومه فقال لهم إني ميت فادفنوني فإذا مرت بقبري بعد ثلاث عير بتراء فوقفت على القبر فانبشوني فسأكون حيًا و أخبرك بكل شيء حتى قيام الساعة.

ثم مات و دفنه قومه ثم بعد ثلاث حدث مثلما أخبرهم تمامًا فمرت عير بتراء بقبره فهمَّ القوم أن ينبشوه وفق ما وصّى خالد، ولكن قومًا آخرين من قومه نهوهم عن ذلك و قالوا لا تزال العرب تعيرنا به إلى الأبد و قال ابنه تعيرني لعرب و تقول يا نابش أبيه فتركوه و خالفوا وصيته.

و يقال بأن ابنة خالد ابن سنان أتت النبي ﷺ فبسط لها ثوبه وقال (أهلا بابنة نبيٍ ضيعه قومه).. و في رواية أنها سمعت النبي يقرأ (قل هو الله احد) فقالت لقد سمعت أبي يقرأ مثل هذا فقال (نبي ضيعه قومه)

و لكن هذه الأحاديث لا تصح عن النبي ﷺ لذا فالرأي الراجح فيه هو ما أثبته جمهور العلماء و حكاه ابن حجر العسقلاني و ابن كثير في البداية و النهاية: إنه رجل صالح من الاحناف على دين إبراهيم يدعو إلى نبذ الأصنام و الخمر و الرباوكانت له أحوال وكرامات.

* * *

عبد الله الحظرد و كتاب العزيف



في عام 1921 نشر الكاتب الأمريكي لافكرافت رواية (المدينة التي لا اسم لها) و في سياق الرواية تعرَّض لشخصية ساحر عربي يمني مجنون اسمه عبد الله الحظرد ! و منذ هذه اللحظة انطلق اسم عبد الله الحظرد إلى العالم غازلة أثوابًا من الأساطير السحرية حوله و حول تاريخه و كتابه الأشهر الذي يثير القشعريرة في جسد من يسمع اسمه (كتاب العزيف) و الذي عرفه الغرب فيما بعد باسمه اللاتيني (نيكرونوميكون) أي كتاب أسماء الموتى.

مكتبة بيت الحصريات

ادَّعى لافكرافت أن الحظرد شخصية عربية معروفة و أنه كان يعرف مكان مدينة إرم ذات العماد و أنه زار خرائب بابل و عاش في دمشق و فيها ألف كتاب العزيف و ادَّعى لافكرافت أن المؤرخ ابن خلكان ترجم له في وفيات الأعيان و ذكر موته الغريب حيث يقول (أن الحظرد كان يتصارع مع وحش خفي و قد بلعهُ في وضح النهار و هذا ما أكَّده الشهود الذين شاهدوا الحادثة).

و لكن بالعودة إلى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان لا نجد مطلقًا شخصًا باسم عبد الله الحظرد !

فهل هي مجرد شخصية خيالية نبتت من عقل لافكرافت و لا أصل لها في التاريخ؟

telegram: @alanbyawardmsr

الحقيقة أن الأمر ليس بهذه البساطة فالقصة غريبة و مليئة بالتفاصيل فيها ما يشهد لرواية لافكرافت و فيها ما يعارضه فما هي أصل الحكاية؟

إذا ألقينا نظرة حول بعض صفات الحظرد فهو عاش في فترة 700 ميلادية أي خلال

الفترة الخلافة الأموية، و كذلك في دمشق عاصمة الدولة الأموية، و أثير حوله أنه يعرف مكان مدينة إرم ذات العماد.

فلو رجعنا للتواريخ لنعرف شخصًا بهذه الصفات فسنجد شخصًا بالفعل أثيرت حوله هذه المعلومة و اسمه أيضًا عبد الله ! و هذا الشخص هو (عبد الله بن قلابة) و الذي ورد ذكره في معرض الحديث عن إرم ذات العماد في الطبري و الثعالبي و الزمخشري و ياقوت الحموي و المسعودي و ابن حجر العسقلاني و ابن عساكر و القزويني و ابن الوردي و ابن خلدون و غيرهم كالتالي:

إن رجلًا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينا هو في صحارى عدن في تلك الفلوات إذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور كثيرة و أعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم ير داخلًا و لا خارجًا، فنزل عن ناقته و عقلها و سلَّ سيفه و دخل من باب الحصن، فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما و لا أطول، و إذا خشبها من أطيب عود، و عليها نجوم من ياقوت أصفر و ياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان، فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين و دخل فإذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط، و إذا هو بقصور كل قصر منها معلق تحته أعمدة من زبرجد و ياقوت، و فوق كل قصر منها غرف، و فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد، و على كل باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيب قد نضدت عليه اليواقيت، و قد فرشت تلك القصور باللؤلؤ و بنادق المسك و الزعفران.. إلخ

و تستمر القصة في الوصف العجيب لهذه المدينة الأسطورية ثم تذكر أن عبد الله بن قلابة قد حمل مع من المدينة ما استطاع حمله من اللؤلؤ و الذهب و غير ذلك.

و تسترسل القصة أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان سمع بقصته فاستدعاه و طلب منه أن يحكي له هذه الحكاية ثم استدعى كعب الأحبار ليسأله عن هذه المدينة فأخبره أنها مدينة إرم ذات العماد.

و من هنا نعرف أن هناك شخصية تاريخية مذكورة في كتب التواريخ و اسمه عبد الله و يرتبط اسمه بمدينة ارم، و من المعلوم أن لافكرافت كان مغرمًا بقراءة الكتب العربية القديمة و مغرمًا بها، فلك أن تتخيل كاتبًا واسع الخيال يقرأ هذه الفقرات عن عبد الله بن قلابة فيبتكر شخصية أخرى اسمها عبد الله و يضيف إليها كلمة الحظرد، و الحظرد اسم غير عربي أساسا و هو من نتاج قريحة لافكرافت.

و هنا نجيئ إلى شق آخر في القصة و هو الكتاب الذي ألّفه عبد الله الحظرد وفقًا لرواية لافكرافت و الذي كان اسمه (العزيف) و العزيف كما أسلفنا في الفصول الأولى هو صوت الهوام الليلية و صوت الرياح المحملة بالرمال فكان العرب يسمعون الصوت و لا يرون شيئًا فكانوا يعتقدون أنها أصوات الجن.

و كتاب العزيف هذا لا يوجد له وجود مطلقًا على وجه الأرض باللغة العربية و تروي الحكايات أن الحاكم (إدريس شاه) بحث عنه في كل مكان و كل مكتبة فلم يعثر عليه و لكن الكتاب يقال أنه وقع في يد المدعو تيودور فليتياس فقام بترجمته إلى اليونانية و أعطاه اسم (نيكرونوميكون) أي كتاب أسماء الموتى، و يبدو أن نسخًا من الكتاب كانت منتشرة في أوروبا في القرن الثالث عشر بحيث إصدر البابا جريجوري التاسع أمرًا بمنع الكتاب و إحراق نسخه

ثم وقع نيكرونوميكون في يد راهب الدومينيكاني أولاس فيرمياس فقام بترجمته إلى اللغة اللاتينية و لكنه دفع ثمن ترجمته لهذا الكتاب الملعون فاتهم بالهرطقة و تم إعدامه حرقًا، و تم إحراق كل نسخ هذا الكتاب إلا نسخة واحدة يقال أنها محفوظة في مكتبة الفاتيكان.

و يبدو أن نسخة أخرى قد نجت من المحرقة و وقعت في يد ساحر يهودي (نكرومانسر) و النكرومانسر هو نوع من أشنع أنواع السحر الأسود قائم على استجواب جثث الموتى.

و هذا النكرومانسر هو (يعقوب اليتزر) و يبدو أن يعقوب هذا أغرم بالكتاب و رأى فيه كنزًا دفينًا فقام بترجمته إلى اللغة العبرية تحت عنوان (سيفر هشاري حادات) أي كتاب أبواب المعرفة.

ثم وصل الكتاب إلى ساحر يهودي آخر هو (ناتان غزة) و الذي أعجب بالكتاب و كان ملهمًا له لتأليف كتاب آخر اقتبس معظمه مما وجده في النيكرونوميكون و هو كتاب (اينوخ).

ثم وقع الكتاب في يد ساحر إنجليزي شهير اسمه (دي) و الذي قام بترجمته إلى الإنجليزية.

و آخر من عرف أن الكتاب معه هو الساحر الإنجليزي المرعب (اليستر كراولي) الملقب بالوحش أو الشيطان، و هو المؤسس لعبادة الشيطان في العصر الحديث و صاحب كتاب القانون و الذي يقال أنه قد اقتبس فيه أجزاء كثيرة من نيكرونوميكون

و هنا نعرف أن اليستر كراولي قد تعرف على فتاة يهودية اسمها سونيا جرين و أحبها كثيرًا و استمرت علاقتهما قرابة ثلاث سنوات دون زواج ثم قررا الانفصال.

و في عام 1921 تتعرف سونيا على شاب جديد كان يكتب روايات الرعب و هذا الكاتب هو (لافكرافت) الذي ذكرناه في البداية و في نفس السنة بدأ عبد الله الحظرد في كتاباته ! هل هي مصادفة؟

أم أن لافكرافت قد سمع من حبيبته سونيا قصصًا من تلك التي سمعتها من كراولي فقام الكاتب بتحويل ما يسمعه إلى روايات خيالية؟

و لكن هل هذا يعني أن عبد الله الحظرد حقيقة؟

و الإجابة هي لا فالحكاية هي حكاية الكتاب و ليست حكاية صاحبه.. ربما كان اسم مؤلف الكتاب مجهول فقام لافكرافت بربطه باسم الحظرد الذي اقتبس اسمه الأول من حكاية أخرى قرأها في كتاب عربي و قام بتوصيل الخيوط لينشئ شخصية خيالية مرعبة.

هل كتاب العزيف حقيقة؟؟

المصادر و الحكايات تشير إلى أنه حقيقة و تربطه بالكتاب الأسطوري نيكرونوميكون و شخصيات مثل دي وكراولي و ناتان غزة و فليتياس و غيرهم هم شخصيات حقيقية بل و كتاب نيكرونوميكون كما أوضحت قد صدر مرسوم بابوي بتحريمه و حرق نسخة.

كما نرى فالحقيقة تمتزج في هذه الحكاية بالخيال حتى أننا نجهل أين تبدأ الحقيقة و أين ينتهي الخيال فيها.

و حتى نجد دليلًا ماديًا يؤكد أو ينفي يظل الحظرد و العزيف علامة من علامات الرعب العربي.

* * *

الختام

استعرضنا في عجالة بعضًا من أساطير الرعب عند العرب الأقدمين و حتى العقود الأولى من العصر الإسلامي.

و عندما أقول في عجالة فأنا أعني ذلك تمامًا حيث أن ما جمعته في هذه الدراسة الصغيرة هو غيض من فيض و قليل من كثير و كلما تعمقت في الدراسة اكتشفت أنني اغترف من بحر لا شاطئ له، لذلك اقتصرت على عدة أمثلة في كل مضوع و لو تتبعت كل ما ذكر تحت كل باب لطال الكتاب و أمل قارءه.

في هذا الكتيب جمعت عددًا كبيرًا من أنواع الرعب المختلفة التي عرفها العرب الأقدمين و حكوا عنها القصص و ذكروها في أشعارهم و أساطيرهم.

فمنها الرعب الخوارقي الذي يتتبع كائنات العالم الخفية مثل الجن و الغيلان و السعالي

و منها رعب الأوابد الأسطورية مثل الهامة و العنقاء و التنين و غيرها

و منها الرعب من الغيب وما يخبئه المستقبل

و منها الرعب من الأماكن الأسطورية كمدينة النحاس

أو الرعب من المناطق الحقيقية كبئر برهوت و أودية الجن

أو الرعب من الظواهر الطبيعية كنار الحدثين

و غير ذلك من أنواع العرب المتوغل في الثقافة العربية و المطمور في بطون آلاف الكتب على اختلاف موضوعاتها فمن كتب الشعر و الأدب إلى كتب التواريخ إلى كتب السير و كتب الحديث و التفاسير و حتى الفقه.

لم أتعرض لكثير من الكتب المليئة بمادة الرعب و التي تعتبر كنزًا لمن يبحث في هذا المجال مثل ألف ليلة و ليلة أو كتب السحر العربية الأسطورية مثل شمس المعارف الكبرى للبوني و ذلك لكونها أتت في مراحل متأخرة و موضوع بحثي كان ينصب أساسا على الفترة الجاهلية أو ما يتعلق بها حتى و إن تأخر زمانه مثل بئر برهوت مثلًا.

و أحسب أنه لم يقم أحد من قبل بمحاولة جمع هذا التراث من بطون هذه الكتب و وضعه في كتاب واحد يسهل على الباحث عملية البحث و يجد فيه المريد بغيته دون شقاء أو تعب.

و كما أوضحت في المقدمة فإن هذا الكتاب يخدم في المقام الأول كتاب الرواية لما فيه من كنوز ثمينة تثري تيمات الكتابة و تجعل كاتب الرعب مثلًا في غنى عن اقتباس التيمات

الغربية، أو على الأقل زيادة عدد الأعمال ذات الطابع العربي لتقف جنبًا إلى جنب مع الأعمال الأخرى التي تقتبس الطابع الغربي.

و الأمر لا يقتصر بالطبع على أدب الرعب فقط بل الفانتازيا بشكل عام و حتى الواقعية و التاريخية.

و أدعو الله تعالى أن يضع له القبول و أن يكون إثراء للمكتبة العربية و فاتحة لسلسلة من الأبحاث المطولة عن تاريخ الرعب العربي في كل مراحله.

محمد عبد العليم

القاهرة – 26/5/2021

المراجع

- القرآن الكريم
- سيرة بن هشام - عبد الملك بن هشام
- سيرة بن اسحق - محمد بن اسحق
- موسوعة قصص العرب - إبراهيم شمس الدين
- المنمق في أخبار قريش - محمد بن حبيب البغدادي
- كتاب الرؤيا - حمود بن عبد الله التويجري
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - دكتور / جواد علي
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - القلقشندي
- مروج الذهب - المسعودي
- لسان العرب - ابن منظور
- تفسير السعدي - محمد بن ناصر السعدي
- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج
- موسوعة قصص العرب - إبراهيم شمس
- الحيوان - الجاحظ
- موسوعة أساطير العرب - أحمد عجينة
- التيجان في ملوك حمير - عبد الملك بن هشام الحميري
- الأغاني - أبي الفرج الأصفهاني
- الزاهر في معاني كلام الناس - ابن الانباري
- الشعر و الشعراء - ابن قتيبة الدينوري
- خزانة الأدب - عبد القادر البغدادي
- أخبار الزمان - المسعودي
- فتح الباري - ابن حجر العسقلاني

- عمدة القاري - بدر الدين العيني
- أصل الحكاية في التاريخ العربي - محمد محمود البشتاوي
- دراسات في التراث الشعبي - شوقي عبد الحكيم
- شرح فتح المجيد - الفنيمان
- شرح غريب الحديث - الخطابي
- تاريخ الفكر الديني الجاهلي - محمد ابراهيم الفيومي
- آكام المرجان في أحكام الجان - أبي عبد الله الشبلي
- المعجم الوسيط
- معجم المعاني
- التعريف والاعلام - السهيلي
- الحكايات الخرافية - فريدريش فون ديرلاين
- الغربة النفسية في شعر عبيد بن ايوب - محمد الدوابشة
- هواتف الجن - الخرائطي
- آثار البلدان و غرائب العباد - القزويني
- معجم البلدان - ياقوت الحموي
- تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة عبد العزيز صالح
- نهاية الأرب في فنون الأدب - النويري
- أسطورة العلامات الدامية - د/أحمد خالد توفيق
- مواقع الإنترنت

* * *